الباب الثاني

أنبياء الله

أنبياء الله

الوارد ذكرهم في القرآن الكريم
ويلزم على المؤمن أن يتعرف عليهم وهم على الترتيب.

١ - آدم عليه السلام: أول الأنبياء ـ أول البشر ـ أصل بني آدم.

٢ - إدريس عليه السلام: أول نبي خط بالقلم وكتب الصحف وخاط الثياب.

٣ - نوح عليه السلام: أول رسول مكلف ـ صاحب السفينة في زمن الطوفان.

٤ - هود عليه السلام: نبي قوم عاد ـ من ذرية سام بن نوح.

٥ - صالح عليه السلام: نبي قوم ثمود.

٦ - إبراهيم عليه السلام: أبو الأنبياء وإمام الناس وخليل الله.

٧ - لوط عليه السلام: إبن أخي إبراهيم ـ أرسل إلى قوم لوط.

٨ - إسماعيل عليه السلام: إبن إبراهيم البكر ـ من السيدة هاجر المصرية.

٩ - إسحاق عليه السلام: إبن إبراهيم الثاني ـ من السيدة سارة.

١٠ - يعقوب عليه السلام: إبن إسحاق ـ عاش بأرض كنعان بالشام.

١١ - يوسف عليه السلام: إبن يعقوب ـ حكم مصر ـ أول من أظهر علم الهندسة.

١٢ - أيوب عليه السلام: من نسل العيص بن إسحاق.

١٣ - ذو الكفل عليه السلام: من أولاد أيوب عليه السلام.

١٤ - شعيب عليه السلام: نبي قوم مدين كان يأمر قومه أن يوفوا الكيل.

١٥ - موسى عليه السلام: ابن عمران ـ ولد في مصر ـ زمن فرعون.

١٦ - هارون عليه السلام: ابن عمران ـ وأخو موسى عليه السلام.

١٧ - إلياس عليه السلام: من نسل هارون وكان في بلد تسمى بك وكانوا يعبدون صنما إسمه بعل.

١٨- **اليسع عليه السلام**: نبي بعد إلياس في بنى إسرائيل.

١٩- **داود عليه السلام**: نبي وملك في بني إسرائيل بأرض الشام.

٢٠- **سليمان عليه السلام**: نبي وملك ـ ابن داود.

٢١- **يونس عليه السلام**: إبن متى ـ من أهل نينوى بأرض الموصل ـ العراق.

٢٢- **زكريا عليه السلام**: نبي في بني إسرائيل.

٢٣- **يحيى عليه السلام**: ابن زكريا عليه السلام.

٢٤- **عيسى عليه السلام**: ابن العذراء مريم ـ آخر نبي من ذرية إسحاق عليه السلام.

٢٥- **محمد ﷺ**: خاتم الأنبياء والمرسلين ـ مرسل للناس كافة، ﷺ.

أنبياء الله في السماء

كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج

السماء الأولى: آدم عليه السلام.

السماء الثانية: يوسف عليه السلام.

السماء الثالثة: عيسى ويحيى عليهما السلام وهما أولاد الخالة.

السماء الرابعة: إدريس عليه السلام.

السماء الخامسة: هارون عليه السلام.

السماء السادسة: موسى عليه السلام.

السماء السابعة: إبراهيم عليه السلام.

الخمس أولى العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام

١- نوح عليه السلام ٢- إبراهيم عليه السلام

٣- موسى عليه السلام ٤- عيسى عليه السلام.

٥- محمد ﷺ.. المذكورون في قوله تعالى:﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ

أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[1] وفي آية الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾[2] والواجب علينا تصديقهم أنهم بلغوا ما أرسلوا به وما أمرهم الله به وبينوه بيانًا واضحًا.

(١) الشورى: ١٣.
(٢) الأحزاب: ٧.

أنبيـــاء الله

آدم عليه السلام

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله خلق آدم من تراب ثم جعله طينًا ثم تركة، حتى إذا كان حمأ مسنونا خلقه وصوّره ثم تركه، حتى إذا كان صلصالا كالفخار قال: فكان إبليس يمر به فيقول له: خُلقت لأمر عظيم؛ ثم نفخ الله فيه من روحه فكان أول ما جرى به الروح" [فتح الباري في شرح صحيح البخاري].

وخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة وكان طوله ستون ذراعًا والله أعلم.

ولما حضرته الوفاة عهد إلى إبنه شيث وعلّمه ساعات الليل والنهار وعلّمه عبادات تلك الساعات.

إدريس عليه السلام

قال تعالى ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾[1]. وهو في عمود نسب النبي ﷺ، وكان إدريس أول نبي بعد آدم وشيث عليهما السلام وأنه أول من خط بالقلم.

نوح عليه السلام

بعثه الله تعالى عندما عُبدت الأصنام والطواغيت وشرع الناس في الضلالة والكفر فكان أول رسول بُعث إلى أهل الأرض، وكان قومه يعبدون الأصنام ومن هذه الأصنام التي صنعوها لرجال صالحين وهم من أولاد آدم عليه السلام وهم: ودّ، وسُواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا وكان ودّ أكبرهم وأبرهم وكان رجلًا صالحًا في قومه فلما مات عكفوا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه فلما رأى إبليس جزعهم عليه تشبه في

---

(١) مريم: ٥٦-٥٧.

صورة إنسان وقال أرى جزعكم عليه فهل أصور لكم مثله فيكون في ناديكم فتذكرونه قالوا نعم، ثم قال لهم أأجعل لكل واحد منكم تمثالًا يضعه في منزله قالوا نعم وأقبلوا وجعلوا يذكرونه وأدرك أبناءهم ما يصنعون وتناسلوا حتى أتخذوه إلهًا يعبدونه فكان أول ما عُبد من دون الله..." ودّ " فبعث الله نوحًا عليه السلام ليدعوهم إلى إفراد عبادة الله وحده لا شريك له.

أما أولاده فهم: سام، حام، يافث، كنعان وهو الذي غرق في الطوفان وعابر فقد ماتت قبل الطوفان وقيل أنها غرقت مع من غرق لكفرها.

وسام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم، أما نوح عليه السلام فكان عبدًا شكورًا وعن صومه أنه صام الدهر كله إلا في العيدين.

هود عليه السلام

هو.. هود بن شالخ بن أرفخشت بن سام بن نوح عليه السلام وكان من قبيلة يقال لهم عاد بن عوصى بن سام بن نوح وكانوا عرب يسكنون الأحقاف وهي جبال الرمل وكانت باليمن بين عمان وحضرموت بأرض مطلة على البحر واسم واديهم مُغيث وكانوا كثيرًا ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾[1] أي أن عاد إرم وهو عاد الأولى وكانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان وكانت أصنامهم ثلاثة: صمدا، صمودًا، وهرا فبعث الله فيهم آخاهم هودًا عليه السلام قال تعالى ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2] ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾[4] وقال تعالى ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾[5] أي متتالية وقيل اعتزل هود عليه السلام هو ومن معه في حظيرة ولم يصبهم شيء من العذاب.

---

(١) الفجر: ٦-٧.

(٢) فصلت: ١٥.

(٣) الأحقاف: ٢١.

(٤) الذاريات: ٤١.

(٥) الحاقة: ٦-٧.

صالح عليه السلام

هو صالح بن عبيد بن ماسح بن عائر بن إرم نوح بُعث في قبيلة مشهورة يقال لهم ثمود باسم جدهم وكانوا من العرب العاربة يسكنون الحجر الذي بين الحجاز وتبوك وكانوا بعد قوم عاد وكانوا يعبدون الأصنام ـ فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له فقالوا إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة ناقة ـ صفتها كذا وكذا وأن تكون عشراء طويلة فقال لهم النبي صالح عليه السلام أرأيتم إن أجبتكم أتؤمنون بما جئتكم به قالوا نعم فقام فصلى ثم دعا ربه عز وجل أن يجيبهم إلى ما طلبوا فأمر الله تلك الصخرة أن تنفطر عنها ناقة عظيمة عشراء فلما عاينوها رأوا أمرًا عظيمًا وقدرة باهرة فآمن كثير منهم واستمر أكثرهم على كفرهم وقال لهم صالح عليه السلام ﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾[1].

وقال تعالى ﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴾[2] فلما طال عليهم هذا الحال إتفقوا على عقر الناقة ليستريحوا منها ويتوفر لهم ماؤهم وقطعوها بأسيافهم أما ولدها فشرد عنهم أعلى الجبال فقال لهم صالح عليه السلام ﴿ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ﴾[3] فلم يصدقوه بل فكروا في قتله وكان من قبل حذرهم بأس الله إن هم نالوها بسوء فلما وقع من أمرهم ما وقع من عقر الناقة وبلغ ذلك صالحًا عليه السلام فجاءهم باكيًا عليهم فتلقوه يعتذرون إليه فقال لهم ﴿ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ﴾[4] وفي اليوم الرابع أتتهم الصيحة فأصبحوا في دارهم جاثمين.

إبراهيم عليه السلام

هو إبراهيم بن تارح بن ناحور بن ساروغ إلى... سام بن نوح وقالوا عندما كان تارح عمره ـ ٧٥ سنه ولد له إبراهيم عليه السلام وناحور ـ وهاران وولد لهاران "لوط عليه السلام" وقيل إن إبراهيم عليه السلام هو الابن الأوسط وإن هاران أخوه مات في حياة أبيه وفي أرضه التي ولد فيها وهي أرض الكلدانيين يعنون أرض بابل ويقال إن إبراهيم

---

(١) هود: ٦٤.

(٢) القمر: ٢٨.

(٣) هود: ٦٥.

(٤) هود: ٦٥.

عليه السلام ولد بغوطة دمشق في قرية يقال إسمها برزة في جبل يقال له قاسيون ثم قيل إنه وُلد ببابل وإنما نسب إليه هذا المقام لأنه صلى فيه إذ جاء معينا لإبن أخيه لوط عليه السلام.. تزوج إبراهيم سارة وكانت عاقرًا قالوا ثم انطلق تارح بابنه إبراهيم وأمرأته سارة وابن أخيه لوط فنزلوا في حرّان فمات فيها تارح ثم ارتحلوا إلى أرض الكنعانيين وهي بلاد بيت المقدس فاقاموا بحرّان وأرض الجزيرة والشام وكان أهلها يعبدون الكواكب السبعة والذين عمروا دمشق كانوا على هذا الدين يستقبلون القطب الشمالى ويعبدون الكواكب السبعة بأنواع من الفعال والمقال ولهذا كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل كوكب ويعملون لها أعيادًا وقرابين وكل من كان على وجه الأرض كانوا كفارًا سوى إبراهيم الخليل وامرأته سارة وابن أخيه لوط عليهم السلام وإن إبراهيم عليه السلام أتاه الله رشده في صغره وابتعثه رسولاً وأتخذه خليلًا في كبره قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾[1] وبيّن إبراهيم عليه السلام لقومه أن هذه الأجرام المشاهدة من الكواكب لا تصلح للألوهية لأنها مخلوقه ومسخرة قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[2] أما أهل بابل فكانوا يعبدون الأصنام وهم الذين ناظرهم في عبادتها وكسرها وأهانها فجمعوا الحطب ثم عمدوا إلى حفرة فوضعوا فيها الحطب وأطلقوا النار ولما علا شررها وضعوه في كفة منجنيق مقيدًا ثم ألقوه في النار.. ويذكر الله تعالى مناظرة خليله مع هذا الملك الجبار الذي أدعى الربوبية فأبطل عليه دليله وقال المفسرون: إنه ملك بابل وإسمه النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح وقيل هو بختنصر وذكروا أن النمرود استمر ملكه أربعمائة سنة ودعاه إبراهيم عليه السلام مرات كثيرة إلى عبادة الله ولكنه أبى واستكبر وجمع جيشه وقت طلوع الشمس فأرسل الله عليهم جيشًا من البعوض فأكلت لحومهم ودماءهم ودخلت واحدة في منخار الجبار هذا فمكثت أربعمائة سنة فكان يُضرب رأسه بالنعال حتى أهلكه الله.

هجرة إبراهيم عليه السلام إلى بلاد الشام ودخوله مصر:

هجر إبراهيم عليه السلام قومه وذهب إلى الشام وأوحى الله إليه "إني جاعل هذه

---

(١) الأنبياء: ٥١.

(٢) الأنعام: ٧٨.

الأرض لخلقك من بعدك" فابتنى مذبحًا شكرًا لله على هذه النعمة وجعل قبته شرقي بيت المقدس ثم انطلق مرتحلًا إلى التيمن وإنها كانت أرض قحط وشدة وغلاء فارتحلوا إلى مصر وأعجب الملك بالسيدة سارة زوجه إبراهيم ولما رأى أنها عابدة لله محتسبة تركها وأهدى لها السيدة هاجر المصرية ثم رجع مرة أخرى إلى بيت المقدس ومعهم مال كثير وأنعام وعبيد ثم إن لوطًا عليه السلام نزح بماله بأمر الخليل له إلى أرض الغور فنزل بمدينة تسمى سدُوم وكان أهلها أشرارًا كفارًا فجارًا وقال أهل الكتاب لما كان لإبراهيم ببلاد المقدس عشرون سنة وهبت ساره لإبراهيم هاجر فحملت وولدت له إسماعيل ثم إشتدت غيرة سارة من هاجر وطلبت منه أن يُغيّب عنها وجهها فذهب بها وولدها حيث مكة المكرمة اليوم في جبال فاران ووضعها عند دوحة فوق زمزم وليس بمكة يومئذ أحد ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء وكما قال تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾[1] إستدار إبراهيم عليه السلام إلى البيت ودعا ربه بهذا وتفجرت ماء زمزم عند قدم إسماعيل وشب إسماعيل وأتت رفقة من جرهم فنزلوا قريبًا منهم وتعلم منهم إسماعيل العربية وتزوج منهم ثم ماتت أم إسماعيل وبعد فترة من الزمن جاء إبراهيم عليه السلام إلى إسماعيل عليه السلام وقال إن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتًا.

ذكر بناية البيت العتيق:

قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[2] قيل لما أمر الله إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام أن يبنيا البيت لم يدريا أين مكانه حتى بعث الله ريحًا فكنست لهما ما حول الكعبة وأتبعاها بالمعاول يحفران حتى وضعا الأساس فلما بلغا القواعد وبنيا الركن قال إبراهيم عليه السلام لإسماعيل عليه السلام أطلب لي حجرًا حسنًا أضعه هاهنا قيل فجاءه جبريل عليه السلام بالحجر الأسود من الهند وكان أبيض مثل الياقوت، وكان آدم هبط به من الجنة وأسود من خطايا الناس.

---

(١) إبراهيم: ٣٧.

(٢) الحج: ٢٦.

وأول من ولد لإبراهيم عليه السلام ـ إسماعيل من هاجر المصرية ثم ولد له إسحاق من سارة بنت عمه.

لوط عليه السلام

هو لوط بن هاران بن تارح وهو آزر ـ ولوط ابن أخي إبراهيم عليه السلام ويقال إن هاران هو الذي بنى حاران والله أعلم.

وكان لوط قد نزح من "مَحِلّة" عمه إبراهيم عليه السلام بأمره فنزل بمدينة سدوم من أرض "غور ذُغَر" وكانت لها قرى مضافة لها وكان أهلها من أفجر الناس وأكفرهم وأسوأهم طوية وأردأهم سريرة وسيرة.. يقطعون السبيل ويأتون في ناديهم المنكر ولا يتناهون عن منكر فعلوه.. فدعاهم لوط عليه السلام إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ونهاهم عن فعل المحرمات والمنكرات فتمادوا في ضلالهم وطغيانهم فأحل الله بهم من البأس الذي لا يرد قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾[1].

إسماعيل عليه السلام

وهو الإبن البكر لإبراهيم عليه السلام من السيدة هاجر القبطية المصرية عليها السلام وقد امتن الله عليه ووصفه بالحكمة والصبر وصدق الوعد والمحافظة على الصلاة والأمر بها لأهله ليقيهم العذاب وأنه أول من تكلم العربية الفصيحة البليغة وكان قد تعلمها من العرب العاربة الذين نزلوا عندهم بمكة من جرهم والعماليق وأهل اليمن وكان عمره أربعة عشرة سنة ولما شب تزوج إمرأة من العماليق وقد أمره أبوه بعد ذلك بفراقها وهي عمارة بنت سعد بن أسامة العماليقي ثم تزوج غيرها فأمره أبوه أن يتمسك بها وهي السيدة نبت مضاض بن عمرو الجرهمي وقيل أنها ولدت له إثنى عشرا ولدا ذكرا وهم نايت وفيذار وإزبل الخ وكان إسماعيل عليه السلام رسولاً إلى أهل تلك الناحية وما والاها من قبائل جرهم والعماليق وأهل اليمن.

---

(١) الأعراف: ٨٠، ٨٣.

مات إسماعيل عليه السلام وعمره مائه وسبعا وثلاثين سنة ودفن بالحجر مع أمه هاجر وعرب الحجاز كلهم ينتسبون إلى ولديه نابت وقيذار.

إسحاق ويعقوب عليهما السلام

ولد ولأبية مائة سنة بعد أخيه إسماعيل بأربع عشر سنة وكان عمر أمه سارة تسعين سنة تزوج إسحق عليه السلام من "رفقا" بنت بتوابيل في حياة أبيه وكان عمره أربعين سنة وكانت عاقرًا فدعا الله لها فحملت وولدت غلامين توأمين الأول "عيصو" وهو الذي تسميه العرب العيص "وهو والد الروم والثاني ولد وهو آخذ بعقب أخيه فسموه "يعقوب" وهو إسرائيل وكان إسحق يحب عيصو أكثر من يعقوب لأنه بكره وكانت رفقا تحب "يعقوب أكثر لأنه الأصغر فلما كبر إسحاق عليه السلام وضعف بصره إشتهى على ابنه العيص طعامًا ليبارك له عليه ويدعو له فذهب ليحضر الطعام فأمرت رفقا يعقوب بأن يدخل هو على أبيه ويقدم له الطعام وفعل، ودعا له أبوه فلما علمالعيص أن يعقوب هو الذي قدم الطعام توعدة بالقتل فخافت عليه أمه فأمرت يعقوب أن يذهب إلى أخيها "لابان" بارض حرّان وأن يتزوج من بناته فذهب وأدركه المساء فأخذ حجرًا ووضعه تحت رأسه ونام فرأى في منامه معراجًا منصوبًا من السماء إلى الأرض وإذا بالملائكة يصعدون فيه وينزلون والرب تبارك وتعالى يخاطبه ويقول له إني سأبارك عليك وأكثر ذريتك وأجعل لك هذه الأرض ولعقبك من بعدك فلما هب من نومه فرح بما رأى ونذر لله لإن رجع إلى أهله سالمًا ليبني في هذا الموضع معبدًا لله وأن كل ما يرزق به سيكون لله عشره ثم جعل على ذلك الحجر دهنًا يتعرف به عليه وسمى ذلك الموضع "بيت إبل" أي بيت الله وهو موضع بيت المقدس اليوم الذي بناه يعقوب عليه السلام.. ثم ذهب إلى خاله وكان له إبنتان "ليا" و"راحيل" وكانت أجملهما ولما طلب أن يتزوج الصغرى طلب منه خاله أن يعمل عنده سبع سنين ثم زوجه الكبرى ولما طلب الصغرى قال إعمل سبع سنين أخرى ثم زوجه الصغرى وأنجب من الكبرى أربعة هم روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا فغارت أختها الصغرى "راحيل" فوهبت له جاريتها "بلهى" فولدت له غلامين هم دان، نيفتالي ثم وهبت الكبرى جاريتها له وهي تسمى "زلفى" فولدت له: جاد وأشير ثم حملت ليا فولدت غلامًا خامسًا منها "إيساخر" ثم ولدت سادس زايلون ثم حملت راحيل فولدت غلامًا عظيمًا شريفًا جميلًا سمته "يوسف" ثم طلب من خاله أن

يرحل إلى أهله فأعطاه أغنام كثيرة ودواب وعبيد وفي رحله العودة أنجبت راحيل ولدها الثاني "بنيامين" وأجهدت في الولادة فماتت على الفور وكان أولاد يعقوب أثنى عشرة. وذهب يعقوب إلى أبيه إسحاق فقام عنده ثم مرض إسحاق ومات ودفن مع إبراهيم عليه السلام.

أما عن وفاة يعقوب عليه السلام فقد ذكر إبن إسحاق عن أهل الكتاب: أن يعقوب عليه السلام أقام بديار مصر عند إبنه يوسف سبع عشرة سنة، ثم توفى عليه السلام، وكان قد أوصى إلى يوسف عليه السلام أن يدفن عند أبويه إبراهيم وإسحاق عليهما السلام.

وذكروا: أنه لما مات يعقوب بكى عليه أهل مصر سبعين يومًا، وأمر يوسف الأطباء فطيبوه بطيب ثم إستئذن يوسف عليه السلام ملك مصر في الخروج مع أبيه ليدفنه عند أهله، فأذن له وخرج معه أكابر مصر وشيوخها ودفنه بالمغارة عند أبيه إسحق وجده إبراهيم الخليل عليهم السلام.

يوسف عليه السلام

كان ليعقوب عليه السلام اثنى عشرا ولدًا ذكرا وكان أشرفهم وأعظمهم "يوسف عليه السلام".

قال المفسرون: رأى يوسف عليه السلام في المنام كأن أحد عشر كوكبًا وهم إشارة إلى أخوته والشمس والقمر وهما أبويه قد سجدوا له فلما أستيقظ قص على أبيه ما رأى فعرف أنه سينال منزلة عالية ورفعة في الدنيا والآخرة فأمره أن يكتمها ولا يقصها على إخوته كيلا يحسدوه وتحققت رؤيته وأصبح وزيرًا على خزائن الأرض بعدما كادوا له إخوته والقوه في الجب والتقطه بعض السيارة ثم باعوه بثمن قليل ثم إشتراه العزيز ونشأ في بيته إلى ان أصبح شابًا وتعرض لإبتلاء من إمرأة العزيز فدعا ربه أن السجن أحب إليه مما يدعوه إليه ودخل السجن بضع سنين وكان الله تعالى قد من عليه بتأويل الرؤى ولما فسر للملك الرؤيا. قال له اجعلني على خزائن الأرض، إلى أن تعرف على إخوته وأتوا له بأبويه وتحققت الرؤيا.

ولما حضرت يوسف عليه السلام الوفاة أوصى أن يحمل مع إخوته إذا خرجوا من مصر فيدفن عند آبائه، فحنطوه ووضعوه في تابوت، فكان بمصر حتى أخرجه معه موسى عليه السلام فدفنه عند آبائه يعقوب وإسحق وإبراهيم عليهم السلام.

أيوب عليه السلام

قيل كان رجلًا من الروم.. وهو أيوب بن موصى بن رازح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم خليل.

وقال غيره.. أيوب بن موسى بن رعويل بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم وحكى إن أمه بنت لوط عليه السلام والمشهور الأول لأنه من ذرية إبراهيم لقوله تعالى: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

قال العلماء إن أيوب كان رجلًا كثير المال والأنعام والعبيد والأراضي وكان له أولاد وأهل كثيرين فسلب منه كل هذا وابتلى في جسده كله ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه يذكر به الله عز وجل وكان صابرًا محتسبًا ذاكرًا لله وطال مرضه حتى عاقه الجليس وأُخرج من بلده وأُلقى في مكان وانقطع عنه الناس ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته كانت ترعى له حقه وإحسانه إليها فكانت تتردد عليه وتصلح من شأنه وفي يوم عندما أراد الله له الشفاء أنبع له عينًا باردة وأمره أن يغتسل فيها ويشرب منها فأمتثل لأمر الله فأذهب الله عنه ما كان يجده من الألم والأذى والمرض وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[2].

ذو الكفل

زعم قومه أنه إبن أيوب عليه السلام قال تعالى ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[3] فالظاهر من ذكره في القرآن أنه نبي وقد زعم آخرون أنه لم يكن نبيًا وإنما كان رجلًا صالحًا وحكمًا مقسطًا عادلًا وكان قد تكفل لبني قومه أن يكفيهم أمرهم ويقضي بينهم بالعدل ففعل فسمى ذا الكفل.

---

(١) الأنعام: ٨٤.

(٢) ص: ٤١-٤٤.

(٣) الأنبياء: ٨٥.

شعيب عليه السلام

كان أهل مدين قومًا عربًا يسكنون مدينتهم "مدين" وهي قرية من أطراف الشام من ناحية الحجاز وقريبه من بحيرة قوم لوط وكانوا بعدهم بمدة قريبه ومدين قبيلة عرفت بهم من بني مدين بن مديان بن إبراهيم عليه السلام، وشعيب نبيهم وهو ممن آمن بإبراهيم وهاجر معه ودخل معه الشام والله أعلم، وفي صحيح ابن حبان في ذكر الأنبياء والرسل قال اربعة من العرب: هو، وصالح، وشعيب، ونبيك يا أبا ذر وكان بعض السلف يسمى شعيب خطيب الأنبياء لفصاحته وكان رسول الله ﷺ إن ذكر شعيبًا قال: ذاك خطيب الأنبياء "وكان أهل مدين كفارًا يقطعون السبيل ويخيفون المارة ويعبدون الأيكة وهي شجرة من الأيك وكانوا يبخسون الكيل والميزان ويطففون فيها، فبعث الله فيهم رجلًا منهم وهو شعيب عليه السلام فدعاهم إلى عبادة الله وترك هذه الأفاعيل القبيحة فأبوا فدعا عليهم فسلط الله عليهم رجفة شديدة وصيحة عظيمة وظُلّة فيها شرر النار فأهلكتهم.

موسى عليه السلام

يقول المفسرون: لقد علم فرعون برؤيا أو بواسطة الكهنة بأن زوال ملكه سيكون على يد مولود لبني إسرائيل، فوجه همه إلى قتل أبنائهم وإستحياء نسائهم، فلما ولد موسى خافت عليه أمه وخبأته عن عيون من يطلبون أطفال بني إسرائيل لقتل ذكرانهم فمكث عندها ثلاثة أشهر، فلما خافت إفتضاح أمرها، أعلمها الله تعالى وعلمها أن يصنع له ما يشبه الصندوق وتطليه بالحمر أي القطران والزفت وتلقيه في اليم ففعلت وأمرت أخته أن تتبع أثره وتعلم علمه، وكان الله قد أعلمها أنه راده إليها وجاعله من المرسلين فلم تزل أخته تراقبه حتى علمت أنه التقط وأدخل دار فرعون وأن عين زوجة فرعون وقعت عليه فألقى الله عليها محبته وابقته ليكون قرة عينها وعين فرعون راجيه أن ينفعها أو يتخذاه ولدًا وهذا تدبير من الله لموسى وأمه لأنه سيعود إليها لترضعه وتتقاضى أجرًا على إرضاعه وهي آمنة كيد الكائدين فلقد زهده الله في المراضع فلم يقبل على ثدي إحداهن رحمة منه تعالى بأمه وكانت أخته تقص أثره فلما رأت إعراضه عن المرضعات عرضت عليهم أن تدعو لهم إمراة عبرانيه ترضعه وتكفله فأرسلوها فجاءت بأمها وأمه فأقبل على ثديها فألقوا إليها بموسى لترضعه وهو موضع عنايتهم قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ

أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[1] وبعد أن أتمت أمه رضاعته أتت به إلى بيت فرعون وتولى البلاط الفرعوني تربيته كما كانوا يربون أبناء الملوك في ذلك العهد بواسطة الكهنة ورجال الدين بحسب التقاليد التى كانت لذلك البيت في تلك الأيام فتعلم موسى تعليمًا راقيًا يضاف إلى ذلك ما أفاضه الله عليه في كبره من الحكمة والعلم الثابت في قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2].

وقد جاء في الطبري أنه حين شب موسى وقوى كف عادية المصريين عن بني إسرائيل ومن الطبيعى أن يعرف بنو إسرائيل في موسى الظهير والنصير، وأن يلجأ إليه المظلومون منهم وخرج موسى يومًا على حين غفلة من أهل المدينة فوجد رجلًا مصريًا يأخذ عبرانيًا ليسخره في بعض عمله فأستغاث العبراني بموسى فجاء إلى المصري فوكزه وكانت القاضية فمات فندم موسى على ما فعل وقال في نفسه هذا الذي أتيت من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين، وضرع إلى الله أن يتوب عليه وألا يجعله ظهيرًا للمجرمين وناصرًا لهم، فلما كان اليوم الثاني خرج إلى المدينة وهو يخاف افتضاح فعلته التى فعل.. وقد ذكر الطبري بسنده إلى ابن عباس جاء فيه أن المصريين لما عثروا على قتيل موسى ولم يعلموا له قاتلًا سبق إلى فكرهم أن بني إسرائيل هم قاتلوه وأخذوا في البحث عن القاتل فبينما هم يطوفون ولا يجدون إذ مر موسى من الغد فوجد ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونيًا أي القبطي وأخذ يستصرخه ويستغيثه على أخر وهو القبطي فعنّفه موسى ولامه على كثرة شره وقال له: ﴿ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[3] ثم أراد أن يبطش بذلك القبطي فيردعه عن الإسرائيلي ويخلصه منه فلما عزم على ذلك وأقبل على القبطي قال الإسرائيلي: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾[4] فقد أعتقد الإسرائيلي أن موسى مقبلًا عليه وليس على القبطي فانطلق القبطي فأخبر قومه. ورفعوا الأمر إلى فرعون بأن القاتل هو موسى فأرسل الذباحين يبحثون عنه، في ذلكم الوقت خالف رجل شريف من آل فرعون قومه

---

(١) القصص: ٧.

(٢) القصص: ١٤.

(٣) القصص: ١٨.

(٤) القصص: ١٩.

وجاء إلى موسى من أقصى المدينة مسرعًا فقال: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾[1] قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] قال ابن عباس: سار موسى من مصر إلى مدين لم يأكل إلا البقل وورق الشجر، ثم ورد ماء مدين فوجد عليه جماعات كثيرة من الناس يسقون ماشيتهم، ووجد من دونهم إمرأتين تذودان، أى تكفكفان عنهما غنمهما أن تختلط بغنم الناس، "وقال ما خطبكما؟ قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير" قال تعالى ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ﴾[3] وجلس موسى عليه السلام في الظل وقال تعالى ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[4] عادت المرأتان إلى أبيهما. الشيخ فأنكر منهما تبكيرهما بالعودة على خلاف شأنهما كل يوم وسألهما عن سبب ذلك فأخبرتاه بما كان من الرجل المصري الذي سقى لهما فأمر إحداهما، أن تذهب إليه فتدعوه قال تعالى ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[5] استحياء: أي مشى الحرائر. وقد اختلفوا في هذا الشيخ من هو؟ فقيل هو شعيب عليه السلام وهذا هو المشهور عند كثيرين وممن نص عليه الحسن البصري ومالك وابن أنس وصرح طائفة بأن شعيبًا عليه السلام عاش عمرًا طويلًا بعد هلاك قومه حتى أدركه موسى عليه السلام وتزوج إبنته وقيل هو ابن أخي شعيب وزاد بن عباس هو صاحب مدين والمقصود أنه لما قص عليه موسى ما كان من أمره بشّرة بأنه قد نجا من القوم الظالمين. فعند ذلك قالت إحدى البنتين لأبيها: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ﴾[6] أي لرعى غنمك، ثم مدحته بأنه قوي أمين هنالك طلب الشيخ من موسى أن يخدمه برعي غنمه ثماني سنوات في نظير أن يزوّجه بإحدى إبنتيه وأشار إليها وأنه إذا أجمل معه يتم عشر سنوات فقبل موسى على أنه بالخيار في أي الأجلين.. فلما قضى موسى الأجل الذي بينه وبين صهره وقال المفسرين

---

(١) القصص: ٢٠.
(٢) القصص: ٢١.
(٣) القصص: ٢٤.
(٤) القصص: ٢٤.
(٥) القصص: ٢٥.
(٦) القصص: ٢٦.

على أنه قضى أكبر الأجلين وأكثر المفسرون يتعجلون أنه بعد قضاء الأجل أراد العودة إلى مصر وأن حماه جعل له نتاج غنمه تلك السنة فحملت الماشية كلها، وفي الطبراني: فلما كانت الليلة التي أراد الله بموسى كرامته وابتداءه فيها بنبوّته وكلامه أخطأ الطريق حتى لا يدري أين يتوجه رأى نارًا ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ۝ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾[1] قال غير واحد من المفسرين من السلف والخلف: لما قصد موسى إلى تلك النار التي رآها وجدها تأجج في شجرة خضراء من العوسج[2] وكل ما لتلك النار من إضطرام، وكل ما لخضرة تلك الشجرة في أزدياد. فوقف متعجبًا، وكانت الشجرة في لحف جبل غربي منه عن يمينه وكان موسى في واد إسمه "طوى" فكان مستقبلًا القبلة، وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب فناداه ربه بالوادي المقدس طوى، فأمره أولًا بخلع نعليه تعظيمًا وتكريمًا وتوقيرًا لتلك البقعة المباركة، ولاسيما في تلك الليلة المباركة ثم خاطبه تعالى قال: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾ أي أنا رب العالمين الذي لا إله إلا هو، الذي لا تصلح العبادة وإقامة الصلاة إلا له.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾[3] فهرب موسى عندما رأى العصا صارت حية عظيمة لها ضخامة هائلة وهي مع ذلك في سرعة حركة الجان فلما عاينها موسى عليه السلام ﴿ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ أي هاربًا ولم يلتفت فناداه ربه قائلًا له: ﴿ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴾[4] قال أهل الكتاب: أمسك بذنبها، فلما استمكن منها إذا هي قد عادت عصا ذات شعبتين، فسبحان الله العظيم، ثم أمره تعالى بإدخال يده في جيبه.

---

(١) طه: ١١: ١٦.

(٢) طه: ١٤.

(٣) طه: ١٧-٢٠.

(٤) القصص: ٣١.

ثم أمره بنزعها فإذا هي تتلألأ كالقمر بياضًا من غير سوء، أي من غير برص ولا بهق وهذان هما البرهانان اللذان أيده الله بهما وهما العصا واليد وطلب موسى من ربه أن يكون أخاه معه وأجابه الله إلى طلبه قال تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[1].

وأمر الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون وقال في سورة طه: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾[2].

وقال تعالى في سورة الشعراء: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3].

ولما طلب فرعون من موسى آية تدل على صدقهما ألقى موسى عصاه من يده فإذا هي ثعبان يتحرك ويسعى، ووضع يده في جيبه ثم نزعها فإذا هي بيضاء للناظرين رأى فرعون والملأ من قومه ذلك فتمادوا إلى تكذيب موسى مؤكدين أنه ساحر وأرسل فرعون في مدائن مصر حاشرين يأتونه بالسحرة ـ وكان للسحرة منزلة عظيمة في أرض مصر ـ وفي يوم الزينة وكان يوم عيد لهم إجتمع السحرة وألقوا حبالهم وعصيهم فامتلأ المكان بالحيات والثعابين وأمر الله موسى أن يلقى عصاه فإذا هي حية تسعى وإذا هي تبتلع حيّات السحرة، فوقع الحق وبطل سحر السحرة وعلموا أن هذا ليس سحرًا، فخروا ساجدين لله تعالى وآمنوا برب موسى وهارون قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٦﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿٤٧﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٨﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٩﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[4] وذلك أن موسى عليه السلام لما ألقاها، صارت حية عظيمة ذات قوائم، وعنق عظيم وشكل هائل مزعج بحيث أن الناس هربوا منها وتأخروا عن أماكنهم وأقبلت هي على ما ألقوه من الحبال والعصى فجعلت تلقفه وأحدًا واحدًا في أسرع ما يكون من الحركة عند ذلك تحقق السحرة بما عندهم من العلم أن هذا ليس بسحر ولا شعوذة ولا خيال ولا زور ولا بهتان ولا ضلال، بل حق لا يقدر عليه إلا الحق، وكشف

---

(١) القصص: ٣٥.

(٢) طه: ٢٤.

(٣) الشعراء: ١٦.

(٤) الأعراف: ١١٧: ١٢٢.

الله عن قلوبهم غشاوة الغفلة، وأنارها بما خلق فيها من الهدى وأزاح عنها القسوة، وأنابوا إلى ربهم وخروا له ساجدين، وقالوا جهرة للحاضرين ولم يخشوا عقوبة فرعون، قالوا: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ كما قال تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾[1]. والظاهر من السياق أن فرعون صلبهم وعذبهم، قال عبد الله بن عباس وعبيد بن عمير: كانوا من أول النهار سحرة، فصاروا من آخره شهداء بررة، ويخبرنا الله تعالى عن الملأ من قوم فرعون، وهم الأمراء والكبراء، أنهم حرضوا ملكهم فرعون على أذية نبي الله موسى عليه السلام، ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾[2] قيل لما عزم فرعون على قتل موسى وشاور ملأه فيه قام رجل مؤمن كان يكتم إيمانه كما أخبرنا الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾[3] قال ابن جريج قال ابن عباس: لم يؤمن من القبط بموسى إلا هذا، والذي جاء من أقصى المدينة، وأمرأة فرعون، ونرجع إلى نصيحة الرجل المؤمن قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[4] إستمر فرعون وقومه على كفرهم وتكذيبهم لموسى عليه السلام وقالوا لن نؤمن بك ولا نتبعك مهما جئتنا به من الآيات، والآيات هي الخوارق للعادات ولم يهلكهم الله إلا بعد إقامة الحجج عليهم وإرسال الرسل وأخذ الحجة عليهم بالترهيب تارة والترغيب أخرى كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ

---

(١) طه: ٧٠: ٧٢.

(٢) غافر: ٢٦.

(٣) غافر: ٢٨.

(٤) غافر: ٣٨-٤٠.

بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۚ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾[1].

ذكر هلاك فرعون وجنوده:

قال المفسرون وغيرهم من أهل الكتاب: استأذن بنو إسرائيل فرعون في الخروج إلى عيد لهم، فأذن لهم وهو كاره، ولكنهم تجهزوا للخروج وتأهبوا له، وإنما كان في نفس الأرض مكيدة بفرعون وجنوده ليتخلصوا منهم ويخرجوا عنهم ـ وفيما ذكره أهل الكتاب ـ أنهم إستعاروا حليًا منهم فأعاروهم شيئًا كثيرًا فساروا بليل طالبين بلاد الشام، فلما علم فرعون بذهابهم اشتد غضبه عليهم وجمع جنوده ليلحقهم ويمحقهم، فلحقهم فرعون وجنوده، فأدركهم عند شروق الشمس وتراءى الجمعان، وعاين كل من الفريقين صاحبه فعند ذلك ﴿ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾[2] ولما اقترب فرعون وجنوده في جدهم وغضبهم وحنقهم، وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، عند ذلك أوحى الحليم العظيم القدير، رب العرش الكريم إلى موسى: ﴿ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ﴾[3] فلما ضربه، يقال إنه قال له: إنفلق بإذن الله. ويقال: إنه إنفلق إثنى عشر طريقًا، لكل سبط طريق يسيرون فيه ولما آل أمر البحر إلى هذه الحال، بإذن الرب العظيم الشديد المحال، أمر موسى عليه السلام أن يجوّزه ببني إسرائيل، فانحدروا فيه مسرعين مستبشرين مبادرين وقد شاهدوا من الأمر العظيم ما يحير الناظرين، ويهدي قلوب المؤمنين فلما جازوه وخرج آخرهم منه، كان ذلك عند قدوم أول جيش فرعون، فأراد موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه ليرجع كما كان عليه، لئلا يكون لفرعون وجنوده وصول إليه فأمره الله تعالى أن يترك البحر على هذه الحال قال تعالى ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾[4] يخبر الله تعالى عن كيفية غرق فرعون، أنه لما جعلت الأمواج تخفضه تارة وترفعه أخرى، وبنو

---

(١) الأعراف: ١٣٠-١٣٣.

(٢) الشعراء: ٦١.

(٣) الشعراء: ٦٣.

(٤) الدخان: ٢٤.

إسرائيل ينظرون إليه وإلى جنوده، ماذا أحل الله به وبهم من البأس العظيم، فلما عاين فرعون الهلكه وأحيط به، وباشر سكرات الموت أناب حينئذ وتاب وآمن حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن أمنت من قبل وروى الترمذي وابن جرير وقال أبو داود عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "قال لي جبريل: لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فم فرعون مخافة أن تناله الرحمة" ويذكر الله تعالى ما كان من أمر فرعون وجنوده في غرقهم وكيف سلبهم عزهم ومالهم وأنفسهم، وأورث بني إسرائيل جميع أموالهم وأملاكهم وذكروا أنهم لما جاوزوا البحر وذهبوا قاصدين إلى بلاد الشام مكثوا ثلاثة أيام لا يجدون ماء، فتكلم من تكلم منهم بسبب ذلك فوجدوا ماء أجاجا لم يستطيعوا شربه، فأمر الله موسى فأخذ خشبة فوضعها فيه، فحلا وساغ شربه وعلّمه ربه فرائض وسننًا، ووصاه وصايا كثيرة.. قال تعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1] سألوا نبيهم أن يجعل لهم آلهة كما لأولئك آلهة، فقال لهم مبينًا لهم أنهم لا يعقلون ولا يهتدون ثم ذكرهم نعمة الله عليهم وتفضيله إياهم والرسول الذي بين أظهرهم وما أحسن الله إليهم من إنجائهم من قبضة فرعون وإهلاكه إياه وتوريثه إياهم ما كان فرعون وملؤه يجمعونه من الأموال وما كانوا يعرشون وأنه لا تصلح العبادة إلا لله وحده لا شريك له، لأنه الخالق الرازق القهار ولما انفصل موسى عليه السلام من بلاد مصر وواجه بلاد بيت المقدس وجد فيها قومًا من الجبارين فأمرهم موسى عليه السلام بالدخول عليهم ومقاتلتهم، وإجلائهم إياهم عن بيت المقدس، فإن الله كتبه لهم، فأبوا، فسلط الله عليهم الخوف فألقاهم في التيه يسيرون ويحلون ويرتحلون ويذهبون ويجيئون في مدة أربعين سنة يقال إنه لم يخرج أحد من التيه ممن دخله، بل ماتوا كلهم في مدة أربعين سنة وقد أخبرنا الله تعالى: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾[2]

---

(١) الأعراف: ١٣٨، ١٣٩.

(٢) المائدة: ٢١: ٢٢.

إلى أن قالوا: ﴿ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾[1] فعاقبهم الله بأنهم تاهوا في الأرض أربعين سنة ثم يذكر لنا الله تعالى ما كان من أمر بني إسرائيل، حين ذهب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه قال تعالى: ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ ﴾[2].

قال جماعة من السلف منهم ابن عباس: الثلاثون ليلة هي شهر ذي القعدة بكماله وأتمت أربعين ليلة بعشر من ذي الحجة ويقال إنه كان صائمًا لم يستطعم الطعام فلما أكمل شهر أخذ لحاءَ شجرة فمضغه ليطيب ريح فمه، فأمره الله أن يمسك عشرًا أخرى، فصارت أربعين ليلة وقال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[3] وكانت الألواح من جوهر نفيس وفيها كل ما يحتاجون إليه من الحلال والحرام. ويذكر لنا تعالى ما كان من أمر بني إسرائيل، حين ذهب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه فمكث على الطور يناجيه ربه ويسأله موسى عليه السلام عن أشياء كثيرة وهو تعالى يجيبه عنها، فعمد رجل منهم يقال له السامري، فأخذ ما كانوا إستعاروه من الحلي، فصاغ منه عجلًا وألقى فيه قبضة من التراب، كان أخذها من أثر فرس جبريل عليه السلام، حين رآه يوم أغرق الله فرعون على يديه فلما ألقاها فيه خار كما يخور العجل الحقيقي، ولما رجع موسى عليه السلام إليهم ورأى ما هم عليه من عبادة العجل ومعه الألواح المتضمنة التوارة، ألقاها حين عاين ما عاين فعنفهم ووبخهم على صنيعهم القبيح ثم أقبل على أخيه هارون عليه السلام قائلا له لما رأيت ما صنعوا لم لاتتبعني وتعلمني أي تركتهم وجئتني تخبرني وقد كان هارون عليه السلام نهاهم عن هذا الصنيع الفظيع أشد النهي وزجرهم عنه فلم يطيعوه ثم أقبل موسى عليه السلام على السامري وقال له ما حملك على ما صنعت فقال السامري كما أخبرنا الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴾[4] فدعا عليه موسى عليه السلام بأن لا يمس أحد وعمد موسى إلى هذا العجل فحرقه

---

(١) المائدة: ٢٤.

(٢) الأعراف: ١٤٢.

(٣) الأعراف: ١٤٥.

(٤) طه: ٩٦.

قيل بالنار كما قال قتادة وغيره ثم ذرّاه في البحر، قال تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾[1] وقد ذكر ابن عباس في حديث الفتون: أن عبادتهم العجل كانت على أثر خروجهم من البحر، لأنهم حين خرجوا ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾[2] وهكذا عند أهل الكتاب، فإن عبادتهم العجل كانت قبل مجيئهم بلاد بيت المقدس وذلك أنهم لما أمروا بقتل من عبد العجل، قتلوا في أول يوم ثلاثة آلاف، ثم ذهب موسى يستغفر ربه، فغفر لهم بشرط أن يدخلوا الأرض المقدسة.. ثم أخبرنا الله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾[3] ذكر السدي وابن عباس أن هؤلاء السبعين كانوا علماء بني إسرائيل ومعهم موسى وهارون عليهما السلام ليعتذروا عن بني إسرائيل في عبادة من عبد العجل وكانوا قد أمروا أن يتطيبوا ويغتسلوا وقال لهم توبوا إلى الله وخرج بهم إلى طور سيناء، لميقات وقتّه له ربه وسمعوا موسى وهو يكلم ربه فلما فرغ الله من أمره أقبل إليهم موسى عليه السلام فقالوا: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[4] فأخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعًا فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويعتذر عنهم قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ فذكر لنا تعالى إنعامه عليهم وإحسانه إليهم بما يسر لهم من المنّ والسلوى طعامين شهيين بدون تعب ولا سعى ينزل عليهم المنّ باكرًا ويرسل عليهم طير السلوى عيشًا وأنبع لهم الماء يضرب موسى عليه السلام حجرًا كانوا يحملونه معهم بالعصا، فتفجر منه إثنتا عشرة عينًا وظلل عليهم الغمام من الحر وهذه نعم من الله عظيمة فما رعوها حق رعايتها ولا قاموا بشكرها ثم ضجر كثير منهم وسألوا أن يستبدلوا منها، مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها فقرعهم نبيهم وقال لهم: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾[5].

---

(١) طه: ٩٧.

(٢) الأعراف: ١٣٨.

(٣) الأعراف: ١٥٥.

(٤) البقرة: ٥٦: ٥٧.

(٥) البقرة: ٦١.

قصة بقرة بني إسرائيل

قال ابن عباس وعبيده والسدي وغيره من السلف: "كان رجل من بني إسرائيل كثير المال وكان شيخًا كبيرًا وله بنو أخ، وكانوا يتمنون موته ليرثوه، فعمد أحدهم فقتله في الليل وطرحه في مجمع الطرق، ويقال على باب رجل منهم، فلما أصبح الناس إختصموا فيه، وجاء ابن أخيه فجعل يصرخ ويتظلم، فقالوا: مالكم تختصمون ولا تأتون نبي الله؟ فجاء ابن أخيه فشكا أمر عمه إلى رسول الله موسى عليه السلام فسأل ربه عز وجل في ذلك، فأمره الله أن يأمرهم يذبحوا بقرة فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[1] يعنون نحن نسألك عن أمر هذا القتيل، وأنت تقول لنا هذا؟ قال ابن عباس وغيره: فلو أنهم عمدوا إلى أي بقرة فذبحوها لحصل المقصود منها ولكن شددوا فشدد عليهم[2] وأمروا بذبح بقرة عوان أي وسط لاهي الكبيرة ولاهي الصغيرة قال بن عباس وغيره ثم شددوا وضيقوا على أنفسهم فسألوا عن لونها وأمروا بصفراء فاقع لونها أي مشرب بحمرة وتسر الناظرين، وهذا اللون عزيز ثم شددوا وقالوا إن البقر تشابة علينا قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ﴾[3] وهذه الصفات أضيق مما تقدم، حيث أمروا بذبح بقرة ليست بالذلول وهي المذللة بالحراثة وسقى الأرض بالساقية، مُسلّمة، وهي الصحيحة التي لاعيب فيها أي ليس فيها لون يخالف لونها فلما حددها بهذه الصفات والنعوت: ﴿ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[4] ويقال إنهم لم يجدوا هذه البقرة إلا عند رجل منهم كان بارًا بأبيه، فطلبوا منه فأبى عليهم، فأرغبوه في ثمنها حتى أعطوه، فيما ذكره السدي بوزنها ذهبًا فأبى عليهم، حتى أعطوه بوزنها عشر مرات، فباعها لهم. فأمرهم نبي الله موسى بذبحها، ثم أمرهم الله أن يضربوا ذلك القتيل ببعضها فلما ضربوه ببعضها أحياه الله تعالى، فقام فسأله نبي الله موسى من قتلك؟ قال: قتلني ابن أخي ثم عاد ميتًا كما كان.

---

(١) البقرة: ٦٧.

(٢) تفسير الطبري بأسهاب ولكن بالمعنى عن ابن عباس أثر رقم ١٢٩٩ وعن مجاهد أثر رقم ١٣٠٠.

(٣) البقرة: ٧١.

(٤) البقرة: ٧١.

نبي الله إليسع عليه السلام

ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾[2].

قال محمد بن إسحاق: هو اليسع بن أخطوب.. وقال بن عساكر: هو الأسباط بن عدي بن شوتلم بن إفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق إبن إبراهيم عليه السلام.. ويقال: هو إبن عم إلياس النبي عليهما السلام ويقال: كان مستخفيًا معه بجبل قاسيون من ملك بعلبك ثم ذهب معه إليها فلما رُفع إلياس خَلَفَهَ إليسع في قومه ونبأه الله بعده.

وذكر ابن إسحاق عن الحسن قال: كان بعد إلياس إليسع عليهما السلام فمكث ما شاء الله أن يمكث يدعوهم إلى الله مستمسكًا بمنهاج إلياس وشريعته حتى قبضه الله عز وجل إليه ثم خلف فيهم الخلوف وعظمت فيهم الأحداث والخطايا وكثرت الجبابرة وقتلوا الأنبياء وكان منهم ملك عنيد طاغ يقال: إنه الذي يكفّل له ذو الكفل إن هو تاب ورجع.. دخل الجنة فسُمىّ ذا الكفل.

نبي الله داود عليه السلام

كان داود أخًا لعشرة من الإخوة هو أصغرهم وقال النبي المرسل إليهم إن الذي سوف يدخل المعركة لابد أن يكون درع موسى عليه السلام على مقاسه وقد حاول كل واحد من أخوته أن يرتدي درع موسى عليه السلام فلم يتناسب الدرع إلا مع داود.. ودخل داود المعركة ضد جالوت بهذه الدرع فقتل داود جالوت وكانت هذه بداية فتح الحق سبحانه وتعالى على داود وآتاه الله الملك والحكمة.. ولقد أحب داود صناعة الدروع.. ووهبه الله الحكمة وفصل الخطاب وأمر الجبال أن تردد التسبيح معه عليه السلام وسخّر له الطير ووهبه الله القدرة على تشكيل الحديد كيفما شاء يصنع منها دروعًا ذات نسيج معين وهي صنعة علّمه الله تعالى إياها قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾[3] لقد أفاض الله على داود عليه السلام في تصنيع نسيج الدروع من الحديد المشغول حتى يرتديها المقاتلون فتحميهم أثناء القتال.

---

(١) الأنعام: ٨٦.

(٢) ص: ٤٨.

(٣) الأنبياء: ٨٠.

والكتاب الذي أنزل على داود هو "الزبور".

نبي الله سليمان عليه السلام

الله سبحانه وتعالى آتى داود وسليمان علمًا وهو منهج الدين وعلّم سليمان منطق الطير وآتاه ملكا لا يكون لأحد من بعده ورغم كل هذه النعم لم يذكر الله إلا النعمة التي يجب أن يفرح بها المؤمن وهي نعمة العلم.

وورث سليمان داود والأنبياء لا تورّث ولكن سليمان ورث داود في النبوة والدعوة إلى الله وتطبيق منهجه ومن فضل الله على سليمان أيضًا أن سخر له الريح فكانت الريح تمثل مواصلات داخلية له في مملكته وهناك نوعان من الريح.. الريح اللينة.. والريح العاصفة.. فالريح اللينة تعطي راحة والريح العاصفة تعطي سرعة فجمع له الله سبحانه بين السرعة والراحة وهذه الريح لا تهب إلا بأمر سليمان عليه السلام وعلى مراده.. قال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾[1] فهذه الريح للرحلات الخارجية وسخر له أيضًا الشياطين يغوصون في البحر.. ليخرجوا له كنوز البحر ونفائسه ويعملون أعملًا أخرى شاقة مثل صناعة المحاريب والتماثيل والجفان والقدور الراسيات... وقال تعالى حاكيًا عن سليمان وعُلمنا "منطق الطير" وهى لغة التفاهم بينها فكان سليمان عليه السلام يعلم لغة الطير كما هو الحال مع الهدهد.

نبي الله يونس عليه السلام

هو يونس بن متي، ويسمى ذا النون.

كان في بلد تسمى "نينوي" وهي في الموصل بالعراق وأما ذا النون أي صاحب الحوت قال تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] قيل إن يونس عليه السلام عندما دعا قومه إلى عبادة الله وحده فكذبوه، وحذرهم من أن تكذيبهم لمنهج الله سيجلب لهم المتاعب وينزل عليهم غضب الله وعقابه ولكنهم عصوا وعارضوا دعوته معارضة شديدة

---

(١) سبأ: ١٢.

(٢) الأنبياء: ٨٧.

فلما تأخر عنهم عذاب الله خاف أن يكذبوه فترك قومه غضبًا منهم وغادر القرية واستقل سفينة ليذهب بها إلى بلد آخر ربما تكون أكثر قبولًا لدعوته.

وحينئذ رأى قوم يونس عواصف ورياحًا شديدة وانقلابًا في الطبيعة فذهبوا إلى علمائهم فقالوا لهم إن هذه بداية عذاب سيصيبهم به الله سبحانه وتعالى لما فعلوه مع نبي الله يونس وقالوا لهم اذهبوا لترضوا يونس قبل أن يحل عليكم العذاب فأمنوا وبادروا برد المظالم إلى أهلها وهكذا كان سر نجاة قوم يونس هو إيمانهم قبل أن يقع عليهم العذاب، أما يونس عليه السلام فعندما ركب السفينة وتلاعبت بها الأمواج قالوا لابد من تخفيف الحمولة حتى تنجو السفينة من الغرق وأجروا القرعة فحددت القرعة يونس عليه السلام وأعادوها عدة مرات فكانت في كل مرة تحدد يونس عليه السلام فألقوه في البحر والتقطه الحوت قال تعالى ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] فلما دعا بهذا الدعاء نجاه الله من هذا الابتلاء الشديد ولفظه الحوت وأنبت الله عليه شجرة على الشاطئ لتحميه من حرارة الشمس وهي شجرة القرع.

نبي الله زكريا عليه السلام

زكريا عليه السلام هو الذي كفل السيدة مريم وقام على خدمتها وكأن الله تعالى إختاره لهذه المهمة لأن القوم حينما تسابقوا إلى كفالة مريم وإستهموا على ذلك كان هذا الشرف من نصيب زكريا عليه السلام بعد أن جاء القوم بالأقلام والقوها في البحر والقلم الذي يطفوا هو الذي يكفل صاحبه مريم فكان قلم زكريا هو الذي يطفوا على الماء، وكان زكريا كلما دخل على مريم وجد عندها رزقًا لم يأت هو به فيستغرب ويسألها من أين لك هذا تقول هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، هنا أيقظت في زكريا القضية الإيمانية فدعا في اثناء وجوده في المحراب قال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾[2] لقد دعا زكريا ربه دعاء الواثق منه فنادته الملائكة وهو يصلي أن الله يبشرك بيحيى، يقول زكريا: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾[3] إنها طلاقة القدرة التي فوق الأسباب، قدرة الله خالق الأسباب.

---

(١) الأنبياء: ٨٧: ٨٨.

(٢) آل عمران: ٣٨.

(٣) آل عمران: ٤٠.

نبي الله عيسى عليه السلام

إن إبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء ومن آل إبراهيم إصطفى الله تعالى من ضمن من أصطفى آل عمران وكلمة عمران ترد في القرآن لاسم شخصين الأول عمران والد موسى وهارون عليهما السلام والثاني عمران والد السيدة مريم عليها السلام وعمران والد مريم هو بن ماثان وهو من نسل سليمان بن داود بن إيشا ابن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام أما إمرأة عمران وتسمى حنه فكانت تقية ورعة نذرت ما في بطنها لله إنها لا تريد ما في بطنها أن يكون قرة عين أو أن يكون معها إنها تريده محررًا لخدمة بيت المقدس وهذا دليل على حبها لربها جل وعلا وإنها نذرت ما في بطنها منذ اللحظة الأولى لميلاده.. وقال تعالى ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ﴾[1] أي لا أستطيع أن أوفي بالنذر لأنها أنثى ولكن الله تعالى سيعطي في هذه الأنثى آية أكبر من خدمة البيت المقدس آية فيها عقائد لها رفعة وتقام فيها شعائر وهي آية تثبت طلاقة قدرة الخالق وهي أن تلد بدون رجل أي يكون لها إبن وهو عيسى عليه السلام بدون أب وتمنت إمرأة عمران وتفاءلت أن تكون المولودة عابدة طائعة لله فسمتها مريم ومعنى كلمة مريم في اللغة معناها العابدة.. وكانت إمرأة عمران تمتلك عقلية إيمانية تحمل المنهج التعبدي فأرادت أن تحمي إبنتها من نزعات الشيطان لأنها عرفت بتجربتها أن المعاصي كلها تأتي من نزعات الشيطان فقالت ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[2] دعت بهذا الدعاء ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾[3] وكان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقًا كثيرًا وأنواعًا من الفاكهة لم تكن موجودة في ذلك الوقت فكان يسألها من أين لك هذا تقول هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب وعندما قالت لها الملائكة إن الله يبشرك بكلمة منه إسمه المسيح عيسى بن مريم اهتزت لأنها علمت أنه سيأتي من غير أب وهنا تكون الآية.. وتتعرض للمطاردة والإضطهاد وتخجل هي من نفسها وهي تحمل وليدها ولكن الله سبحانه وتعالى حفظ مريم من كل سوء حتى خطيبها يوسف النجار الذي كان يجب أن

---

(١) آل عمران: ٣٦.

(٢) آل عمران: ٣٦.

(٣) آل عمران: ٣٧.

يغار ويغضب لما حدث لقد أنزل هذا الأمر عليه بردًا وسلامًا وعندما وضعت مريم ذهبت إلى قومها تحمله ولما كثرت الأسئلة عليها أشارت إلى الوليد فقال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[1] وقد أرسل عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل وعلّمه الله تعالى الكتاب أي ما نزل قبله من كتب مثل الزبور على داود وصحف إبراهيم والتوراة على موسى وأنه عليه السلام جاء ليكمل التوراة ويكمل ما أنقصه اليهود من التوراة.. فالتوراة أصل من أصول التشريع لعصره والمجتمع المبعوث إليه وليس لأي أحد أن يقول أنا رسول الله إلا إذا قدّم بين يدي دعواه معجزة تثبت أنه رسول الله وقوم عيسى عليه السلام كانوا مشهورين بالحكمة والطب لذلك كان الذي جاء به عيسى من جنس ما نبغوا فيه فكان يُبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله والأكمه هو الذي ولد أعمى والأبرص هو الذي يوجد في جلده بقع بيضاء وهذين المرضين كانا من الأمراض المستعصية في ذلك الوقت. جاء عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل قال تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[2].

والتحريم والتحليل يكون لحكمة من الله.. وجاء عيسى ليحل لهم بأمر الله ما كان قد حُرِّم عليهم. ثم طلب الحواريون وهم الذين آمنوا برسالة عيسى عليه السلام.. أن ينزل عليهم مائدة من السماء وقالوا: إننا نريد أن نأكل منها لتطمئن قلوبنا بما نؤمن به من قدرة الله ونعلم عن رؤية مادية صادقة ما أخبرتنا به عن الحق سبحانه ونشهد لك بهذه المعجزة.. ولبى عيسى عليه السلام طلبهم ودعا ربه واستجاب الله له وأنزل لهم مائدة من السماء.

وفي النهاية هل قتل المسيح وصلب أم رفع؟

إن ميلاد المسيح كان له ضجة.. وكذلك كان لمسألة الوفاة ضجة.. إن الميلاد لم يكن في حدود تصور العقل لولا بلاغ الله سبحانه وتعالى لنا.. وكذلك الوفاة لابد أن تكون مقبولة في حدود بلاغ الله سبحانه وتعالى لنا.

إن الميلاد والنهاية بالنسبة لعيسى بن مريم عليهما السلام، كل منها عجيبة فقد دخل

---

(١) مريم: ٣٠.

(٢) آل عمران: ٥٠.

الحياة بأمر عجيب.. فلماذا لا يخرج منها بأمر عجيب.. إن الحق سبحانه وتعالى حكم وقال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[1] ونحن كمسلمين لا نهتم ولا نصدق أي رواية في هذا، والبحث في هذا لا يعنينا في شيء ويكفينا أنه سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[2].

(١) النساء: ١٥٧.

(٢) النساء: ١٥٧.

أمهـات المؤمنـين

قال تعالى ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾.

١ - السيدة خديجة بنت خويلد.

٢ - السيدة سودة بنت زمعة.

٣ - السيدة عائشة بنت أبي بكر.

٤ - السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب.

٥ - السيدة زينب بنت خذيمة.

٦ - السيدة أم سلمة "هند بنت أبي أميه".

٧ - السيدة زينب بنت جحش.

٨ - السيدة جويرية بنت الحارث.

٩ - السيدة صفيه بنت حيي بن أخطب.

١٠ - السيدة أم حبيبة "رملة بنت أبي سفيان".

١١ - السيدة ماريه بنت شمعون.

١٢ - السيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية.

السيدة خديجة بنت خويلد

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصى القرشية الأسدية أم المؤمنين زوج النبي ﷺ أول من تزوجها، وأول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين، لم يتقدمها رجل ولا إمرأة، كانت تدعي في الجاهلية الطاهرة، وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأسم، تلتقي مع النبي ﷺ في الجد السابع لؤى، وكانت أقرب زوجة للنبي نسبًا، وكانت أكثر سيدة في مكة حكمة وذكاءًا وفطرة نقية نادرة ومكانة عالية، وكانت أكثر نساء مكة مالاً فلم يكن أحد أغنى منها وجمالًا فكانت أجمل نساء مكة وإيمانًا فلم تسجد لصنم أبدًا وكانت على دين إبراهيم دين التوحيد. تزوجت مرتين قبل رسول الله ﷺ، الأول وهو: عتيق المخزومي أنجبت منه ولدًا وبنتًا ثم توفى والثاني هو أبو هالة التميمي وإسمه هند بن زرارة بن النباش التميمي ولدت له إبنين ذكرين هما هند والحارث وابنه اسمها زينب ثم توفى فأصبحت مسئولة عن تربية أولادها والعناية بهم، وزهدت في الزواج، فقد تقدم إليها سادات العرب وعظماؤهم فلم ترض بواحد منهم وشغلت نفسها وملأت ما تبقى من فراغها بالإشراف على الأتجار في أموالها وكانت التجارة التي ترسلها مع القوافل التي تخرج من مكة من الوفرة بدرجة كبيرة وكانت تختار من قريش من يخرج مع العير ليشرف لها من يتحلى بالصدق والأمانة، وكثيرًا ما كانت تستعين بابن أخيها حزام المسمى "حكيمًا" وكان ذكيًا وله مكانة عظيمة في قومه، وكانت تجارته عظيمة وقوافله تجوب داخل الجزيرة العربية وخارجها إلى الشام وبلاد فارس وغيرهما، وكان محبًا لعمته، دائم التردد عليها في بيتها يسألها الرأي والعمل، ولا ينسى التاريخ أن حكيمًا هذا هو الذي أهداها زيد بن حارثه الذي أهدته السيدة خديجة بدورها فيما بعد إلى رسول الله ﷺ، ومع تجارتها وكثرتها نراها لا تخرج للتجارة ولا تختلط بالتجار وتترك من تؤجره ليغنيها عن ذلك، ثم إننا نراها لم تنصرف إلى التجارة والربح ولكن كانت تستمع كثيرًا إلى الكتب السماوية التي كان يتلوها عليها إبن عمها ورقة بن نوفل من الكتب المنزلة على عيسى وموسى عليهما السلام، وكانت تنصت إليه أكثر وأكثر حينما يتحدث عن النبي العربي الذي سيرسله الله لهداية الناس، ولما أرادت العناية الإلهية لها السعادة، وكانت إحدى

القوافل القرشية على وشك الإرتحال إلى الشام، راحت خديجة تفكر في إختيار التاجر الذي ستعهد إليه بالإشراف على تجارتها، وكان أهل مكة في ذلك الوقت يلهجون بذكر ما يتمتع به "محمد بن عبد الله" من كرم الأخلاق والأمانة وبُعده عن اللهو الذي ينغمس فيه كثير من أنداده من شباب قريش إن الناس يتحدثون كثيرًا عن ذكائه وعن كريم صفاته، فلماذا لا تستدعيه لترى بنفسها رأيها فيه؟ لقد كانت لها فراستها التي لم تخنها قط في إختيار التاجر المناسب فأرسلت إليه، ولما حضر استقبلته وأخذت تحدثه في شئون التجارة فوجدته شابًا شديد الذكاء وسيم الطلعة، عف النفس، لطيف المحضر إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم ساد عليه البهاء وكان حلو المنطق، يحسن الاصغاء ملتفتًا إلى محدثه بكل جسمه[1]، لذلك تسرب إلى نفسها الإطمئنان إليه، فعرضت عليه أن يخرج في تجارتها الذاهبة إلى الشام في عير قريش، ومما يؤثر عنها أنها قالت له حينذاك: "دعاني إلى طلبك ما بلغني من صدق حديثك، وعظيم أمانتك وكرم أخلاقك، وأنا أعطيك ضعف ما أعطى رجلًا من قومك"[2] فاستجاب محمد وشكر لها اختياره وما أثنت عليه واستأذن في الانصراف. ورحل محمد وسارت القافلة لإنهاء أمر التجارة، وباع محمد ما كان معه وأشترى ما وجد في السوق مما يروح بيعه وشراؤه، حتى إذا إنقضت ايام السوق رجع ومعه ميسره خادم السيدة خديجة إلى مكة، وقد إمتلأت نفس ميسرة بالحب والإعجاب مما رأى من خلق محمد وصدقه والخير الذي جاء على يديه، فأسرع عند عودته إلى سيدته ليخبرها بما رأى وسمع، ويصف لها هذا الرجل العظيم.

وعاد الركب في سفره الشاق، وعلا ضجيج الركب مختلطًا بهتاف المستقبلين ورغواء الإبل التي أناخت على ثري مكة "مطمئنة" فحض "محمد" على بعيرة قاصدًا دار "خديجة" بعد أن طاف بالبيت العتيق: وكانت "خديجة" في دارها، ترقب الطريق في لهفة مشوبة بشيء من القلق، وإلى جانبها غلامها "ميسرة" يملأ سمعها بحديث مثير عن رحلته مع "محمد"[3] واستقبلته عندما استأذن في الدخول عليها أحسن استقبال وجلست تستمع إليه وهو يقص عليها أنباء رحلته، فأخذ يخبرها في تواضع وقد غض من بصره عن

---

(١) انظر تاريخ الطبري (٣/ ١٧٩، ونهاية الأرب ٨١/ ٢٧٣).

(٢) انظر تاريخ الطبري (٢/ ٢٨٠) والسيرة لأبن هشام (١/ ١٨٨).

(٣) تاريخ الطبري (٣/ ١٩٦) والإصابه (٤/ ٦٠) والسمط الثمين (١٣) وعيون الأثر (١/ ٤٨).

التوفيق الذي أصابه عندما باع تجارتها وما كسب لها من الربح الوفير فشعرت "خديجة" بالفرصة العظيمة التي ملأت نفسها سرورًا وانشراحًا وذهب العبد "ميسرة" يقص على سيدته من أنباء هذه الرحلة وما جرى فيها من أحداث لم يشهد لها مثيلًا من قبل يقول لها إنه رأى في ذهابه وإيابه عجبًا فقد رأى الغمام يتجمع ثم يظلل فوق "محمد" وهو راكب على بعيره كلما أشتد الحر في الهاجرة، وأن محمدًا نزل يومًا يستظل تحت شجرة بالقرب من صومعة راهب يدعي "نسطورا" فلما رأه الراهب سأل ميسرة عنه، فأخبره أنه فتى من أشراف قريش، فسأله الراهب "أفي عينه حمرة"؟ فرد عليه ميسرة قائلًا نعم لا تفارقه[1] فقال الراهب: إن هذا الرجل الجالس تحت الشجرة نبي من الأنبياء[2] ثم ذكر لها أن رجلًا من أهل الشام عليه سمات الوقار اختلف مع "محمد" قائلًا ما حلفت بهما قط وإني لأمر فأعرض عنها فقال الرجل "القول قولك" ثم خلا الرجل بميسرة وقال له "هذا والله نبي تجده أحبارنا منعوتًا في كتبهم" ثم أخذ ميسرة يصف لها سيرة "محمد" أثناء هذه الرحلة وما كان يتصف به من كرم أخلاق وطهارة وصدق وعطف على كل من كان معه.

الزواج:

لقد وقفت السيدة خديجة صامدة لترد كل من يتقدم إليها يريد الزواج منها من سادة قريش وأغنيائها ومترفيها، وعاشت خديجة مضطربة حيرانة فقد إستولى "محمد" على قلبها، وفي غمرة حيرتها وأضطرابها، زارتها صديقتها "نفيسة" فلم يغب عنها الذي تجد صاحبتها فمازالت بها حتى كشفت لها عن سرها المطوي وهونت "نفيسة" الأمر عليها، فما في نساء قريش من تفوقها نسبًا وشرفًا وهي بعد ذات غني وجمال[3] ثم تركتها وقد أعتزمت أمرًا.

جاءت محمدًا فسألته فيم عزوفه عن الدنيا وقضاؤه على شبابه بالحرمان؟ هلا سكن إلى زوج تحنو عليه وتؤنسه وتزيل وحشته؟ فقال ما بيدي ما أتزوج به. قالت على الفور نفيسة، فإن دعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة أي تجيب؟ فما مر سؤالها أذنيه حتى أدرك من تعني: تلك خديجة، ومن سواها تدانيها شرفًا وجمالًا وكفاءة؟ ألا لودعته

---

(١) الطبقات الكبرى لأبن سعد (١/ ٨٣).

(٢) السابق.

(٣) السيرة لأبن هشام (١/ ٢٠١).

لأجاب وانصرفت "نفيسة" وتركته مشغول البال، يرنو رقة إلى طيف من خديجة وكانت المفاجأة فقد أقبلت نفيسة مهللة الوجه بادية البشر تهنئ عزيزتها فلقد وفقت في مُهمتها وحملت إليها موافقة محمد.

فرحت خديجة بما أقدمت عليه نفيسة وأرسلت إليه مولاتها تلتمس أن يوافي سيدتها الساعة، ذهب محمد إلى دار خديجة، فلقد قابلته بكل ترحاب وسرور ومودة، وأعادت عليه أمر الزواج، لتعرف رأية بنفسها ولتستمع إلى كلماته العذبة التي تخرج من فم أكرم الناس عليها. قالت: يا محمد ألا نتزوج. رد عليها الصادق الأمين. من؟ قالت: أنا، قال: من لي بك؟ قالت: "يا ابن عم إني رغبت فيك لقرابتك، وسبطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك، وصدق حديثك. قبل محمد الخطبة، ثم قالت خديجة: إذهب إلى عمك فقل له: عجّل إلينا بالغداة، وجاء أبو طالب إلى بيت خديجة فرحبت به، ثم قالت: اذهب إلى عمي، فقل له يزوجني من إبن أخيك فوافق أبو طالب على أصل الزواج، وعلى أن يقوم بالخطبة وقال: هذا من صنع الله! جاء محمد وأعمامه أبو طالب وحمزة والعباس والزبير والفيداق وصديقاه أبو بكر وعمار بن ياسر، ودخلوا على عمها عمرو بن أسد وكان معه ابن عمها ورقه ابن نوفل وإبن أخيها حكيم بن حزام وجمع من رؤساء مضر، وكبراء مكة وأشرفها لإتمام العقد فتكلم أبو طالب فالقى خطبة جامعة ثم تكلم ورقه بن نوفل.. وقام عمها عمرو قائلًا: أشهدوا عليّ معاشر قريش أني قد زوجت محمد بن عبد الله.. وشهد على ذلك صناديد قريش.

نحر محمد جزورين وأطعم الناس وضرب الجواري الدفوف وفرح أبو طالب فرحًا شديدًا وقال: الحمد لله الذي أذهب عنا الكرب ودفع عنا الغموم". وكان مهرها عشرين بكرة وقيل إثنا عشرة أوقية ونصف أوقية[1] وفي أسد الغابة (تزوج رسول الله ﷺ خديجة ـ رضي الله عنها ـ قبل الوحي وعمره حينئذ خمس وعشرون سنة، وقيل: إحدى وعشرون سنة زوجها منه عمها عمرو بن أسد وكان عمرها حينئذ أربعين سنه وأقامت معه أربعًا وعشرين سنة[2] وفي هذا البيت المبارك كان يعيش أولاد السيدة خديجة من زوجيها السابقين عدا ابنها عبد الله فإنه كبر وإستقل بحياته وقد جاوز الثانية عشر، وكانت بالبيت

---

(١) راجع الروض الأنف (٢١٤) وعيون الأثر (١/ ٥٠) والسمط الثمين (١٥) والمحبر ٧٩.
(٢) أسد الغابة.

أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ وعلى بن أبي طالب وقد ضمه إبن عمه إليه تخفيفًا عن عمه أبي طالب، وكذلك أولادها: زينب ورقيه وأم كلثوم وفاطمة والقاسم وعبد الله. وقد توفى القاسم وعبد الله في حياة الزوجين وأيضًا كان يعيش معهم زيد بن حارثه الذي أهداه حكيم ابن أخي السيدة خديجة وأهدته بدورها لزوجها ليكون خادمًا له وهو الصحابي الوحيد الذي ذكر أسمه في القرآن الكريم في سورة الأحزاب.

وكان محمد يذهب للعبادة في غار حراء في الليالي ذوات العدد، وكانت زوجته تعد له ما يحتاج إليه من المأكل والمشرب، بل وترسل في أثره من يخبرها بأحواله من بعيد دون، أن يشعر به زوجها، لأنها كانت تشعر أمرًا سيحدث، وبالفعل جاءها يومًا يرتعش ويقول: زملوني.. زملوني.. دثروني.. دثروني.. فقالت كلمتها الخالدة "كلا.. والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث وتكرم الضعيف وتحمل الكل[1] وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر ثم تكمل حديثها قائلة "أبشر يا ابن العم وأثبت فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة[2] وانطلقت خديجة إلى "ورقه بن نوفل" وأخبرته ما أخبرها به محمد ففرح فرحًا عظيمًا، وتهلل وجهه متبشرًا وقال: "والله إن إبن عمك لصادق، وإن هذا لبدء نبوة وأنه ليأتيه الناموس الأكبر فمريه أن لا يجعل في نفسه إلا خيرًا "فاطمأنت، ولا شك أنها أخبرت محمدًا بذلك فهدأت نفسه. وكان إذا نام يرى الرؤيا الصادقة، حتى إذا إستيقظ حدث كل ما رآه في منامه، وجاء مطابقًا لأحلامه، وكان إذا سار في الظلام رأى نورًا، فعادت إليه الظنون فقال: "ياخديجة، إني أسمع صوتًا وأرى نورًا وإني أخشى أن يكون بي جِنّة" فقالت: "لم يكن الله ليفعل بك ذلك يا ابن عبد الله ومازالت به تطمئنه وتُسرّي عنه، حتى سكن جأشه وهدأ باله. وأرادت أن تأكد له أنه ملك ورسول من قبل الله وليس بشيطان، ذلك الذي يأتيه فقالت له أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك؟ قال: نعم، قالت: إذا جاء فأخبرني به ـ فجاء جبريل كما كان يصنع، فقال رسول الله ﷺ لخديجة يا خديجة هذا جبريل قد جاءني. قالت: قم يا ابن عم فاجلس على فخذي، فقام ﷺ فجلس قالت له: هل تراه؟ قال: نعم قالت: تحول فأجلس في حجري. فتحول رسول الله ﷺ فجلس في حجرها

---

(١) أي الضعيف المحتاج.

(٢) انظر الطبقات الكبرى (١/ ١٣٦ ‖ ١٣٠).

قالت: هل تراه قال: نعم فتحسرت وألقت خمارها، ثم قالت: هل تراه؟ قال: لا، فقالت: يابن عم أثبت وأبشر فوالله إنه لملك، وما هو بشيطان[1] وذلك لأنها تعلم أن الملك يختفي إذا كشفت المرأة رأسها بخلاف الشيطان.

وبالغت قريش في عدائها للنبي ﷺ والمسلمين وكانت المقاطعة المعروفه فقد كتبت قريش الصحيفة وعلقوها على الكعبة تعاهدوا فيها على بني هاشم فقاطعوهم وأخرجوهم من مكة إلى شعب بني هاشم، واتفقوا على أن لا يتزوجوا منهم ولا يزوجوهم ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحًا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله ﷺ إليهم. أقاموا على ذلك ثلاث سنوات، وكانت السيدة خديجة رضي الله عنها من الأوائل الذين دخلوا الشعب مع زوجها تشاركه وتتحمل معه آلام الحياة وشظف العيش، ولكن أهل خديجة الذين لم يؤمنوا في وقتها لم يتركوها كانوا يتعرضوا للمسلمين بالأذى ثم مزقت الصحيفة ورجع المسلمون إلى مكة بعد ثلاث سنوات أجهدت فيها السيدة خديجة ورجعت إلى بيتها إلا أن المرض الذي أصابها والحرمان أثّر عليها فخف نشاطها المعهود، وذهبت إلى بيتها لتبدأ حياة جديدة. وبعد نحو ستة أشهر من إنهيار الحصار مات العم "أبو طالب" وقد كان لإبن أخيه ﷺ أبًا وصديقًا وكافلًا ومانعًا له من طواغيت قريش، ولم تشهد رضي الله عنها مأتمه، وكانت في فراشها تودع الدنيا وزوجها عليه الصلاة والسلام إلى جانبها يرعاها ويؤنس وحشة إحتضارها ببشرى ما لها عند الرفيق الأعلى، ويتزود منها لفراق لالقاء بعده في هذه الدنيا، ثم أسلمت الروح بعد ثلاثة أيام، بين يدي الزوج الذي تفانت في حبه منذ لقيته وصدقته وآمنت برسالته في فجر ليلة القدر، وجاهدت معه حتى الرمق الأخير من حياتها وكانت له سكنًا وأنسًا وملاذًا، إلى أن رجعت نفسها المطمئنة إلى ربها راضية مرضية ودفنها ﷺ بالحجون.. كانت وفاتها رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين على الصحيح[2] قال في الإصابة (قال ابن اسحاق: كانت وفاة خديجة وأبي طالب في عام واحد قيل: ماتت خديجة قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل بأربع، وقيل بخمس وقالت عائشة: ماتت قبل أن تُفرض الصلاة، يعنى قبل أن يعرج بالنبي ﷺ.

---

(١) أسد الغابة (٧/ ٨٤).

(٢) السيرة لبن هشام (٢/ ٥٧) وتاريخ الطبري(٢/ ٢٢٩) وعيون الأثر (١/ ١٣٠).

فضائلها:

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: "خير نساء العالمين مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد"[1] وعن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله ﷺ بشر خديجة ببيت في الجنة من قصب[2]، لاصخب فيه ولا نصب"[3] وعن أبي زرعه قال: سمعت أبا هريرة قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتتك ومعها إناء فيه إدام ـ أو طعام أو شراب ـ فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها، ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب" وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة، فيُحسن الثناء، فذكرها يومًا من الأيام فأدركتني الغيرة، فقلت: هل كانت إلا عجوزًا، فقد أبدلك الله خيرًا منها! فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ثم قال: "لا والله ما أبدلني الله خيرًا منها، آمنت إذ كفر الناس وصدقتني وكذبني الناس، وواستني في مالها إذ حرمني الناس ورزقني الله منها أولادًا إذ حرمني أولاد النساء" قالت عائشة فقلت في نفسي: لا أذكرها بسيئة ابدًا[4] وبعد أربعة عشرة سنةً من وفاة خديجة يوم فتح مكة يرى النبي ﷺ سيدة عجوز تأتي من بعيد فيوسع لها ويجلس معها ويخلع العباءة ويجلسها عليها لأنها كانت صاحبة خديجة.

صلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبة وسلم.

---

(١) الإصابة رقم (٣٣٥).

(٢) القصب من الجوهر: ما كان مستطيلًا أجوف، وقيل: القصب أنابيب من جوهر كذا في لسان العرب (٥/ ٣٦٤١).

(٣) أخرجه الترمذي في السنن (٥/ ٦٦٠) ومسلم (٤/ ١٨٨٦).

(٤) أسد الغابة (٧/ ٨٦).

السيدة سودة بنت زمعة

هي سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية العامرية أمها إسمها الشموس بنت قيس بن زيد الأنصارية كانت متزوجة قبل النبي عليه الصلاة والسلام، من إبن عمها السكران بن عمرو ابن عبد شمس، أخي سهيل بن عمرو، كانت من الأوائل الذين اسلموا وبايعت مع زوجها رسول الله ﷺ ولما أشتد إيذاء قريش للمسلمين واضطهادهم لأصحاب رسول الله هاجر السكران بن عمرو وامرأته سودة إلى الحبشة في الهجرة الثانية، وتركا الأهل والأموال، ولكن زوجها مرض وأشتد عليه المرض، فترك الحبشة وعاد إلى مكة وقد لازمه المرض حتى توفي رضي الله عنه.

تزوجها رسول الله ﷺ بمكة بعد وفاة خديجة رضي الله عنها: قاله عقيل عن الزهري وقاله قتادة وأبو عبيدة وابن إسحاق[1] وكانت أرملة حسنة غير ذات جمال ثم هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، وأطمئنت الحياة بالمسلمين في رحابها وآخي الرسول بين المهاجرين والأنصار وبنى ﷺ مسجده وكان قد ترك زوجه سودة مع إبنتيه أم كلثوم وفاطمة، وأم أيمن في مكة، فأرسل زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة فجاءا بهن إلى المدينة وأستقر بسودة المقام في بيتها تخدم بناته وكانت سعيدة حينما كان الرسول ﷺ يلاطفها ويضحك من مشيتها كانت رضي الله عنها ثقيلة الجسم لكنها كانت خفيفة الروح تدخل السرور على قلب رسول الله ﷺ، لما أسنت سودة وهبت يومها لعائشة رضي الله عنها تلتمس بذلك رضا رسول الله ﷺ، وذلك لمعرفتها مدى حبه لها أي لعائشة.

نزلت آية الحجاب بسببها رضي الله عنها فقد خرجت سودة ليلة من الليالي عشاء وكانت إمرأة طويلة فناداها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بصوته الأعلى يا سودة قد عرفناك فشكت سودة عمر إلى رسول الله ﷺ فنزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ

---

(١) الإصابة (١١٣٦٣)، الإستيعاب (٣٤٤١) وطبقات ابن سعد (٨/ ٥٢) وطبقات خليفة (٣٣٥) والمعارف (١٣٣) وتاريخ الإسلام (٢/ ٦٦) وتهذيب التهذيب) (١٢/ ٤٢٦).

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1] وحجت سودة مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع واكتفت بها وكانت تقول لمن يدعوها للحج إلى مكة: لا أحج بعد حجة الوداع أبدًا، لحق رسول الله ﷺ بربه وهو راض عنها وجاء أبو بكر رضي الله عنه وأكرم زوجات الرسول وفيهن سودة.

توفيت سودة بالمدينة المنورة في آخر خلافة عمر، هذا هو المشهور في وفاتها ونقل ابن سعد عن الواقدي أنها توفيت سنة أربع وخمسين هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان[2].

---

(١) انظر الدار المنشورة (٥/ ٢١٣).

(٢) سبل الهدى والرشاد (١١/ ٣٠٠) وانظر الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين (١٤).

السيدة عائشة بنت أبي بكر

هي عائشة بنت أبي بكر الصديق، الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين زوج النبي ﷺ.. أمها أم رومان إبنة عامر بن عويمر بن عبد شمس بن كنانة الكنانية[1]، أما عن خطبتها فعن عائشة نفسها رضي الله عنها قالت: لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم بن الأوقعي إمرأة عثمان بن مظعون. وذلك بمكة أي رسول الله، ألا تزوج؟ قال: "ومن؟" قالت: إن شئت بكرًا، وإن شئت ثيبًا، قال "فمن البكر" قالت: إبنة أحب خلق الله إليك "عائشة بنت أبى بكر، قال: "ومن الثيب؟ قالت: سودة بنت زمعة بن قيس، آمنت بك واتبعتك على ما أنت عليه قال: "فاذهبي فاذكريها عليّ "فجاءت فدخلت بيت أبي بكر، فوجدت أم رومان أم عائشة، فقالت، ما أدخل عليكم من الخير والبركة قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة، قالت: وددت إنتظري أبا بكر فإنه آت، فجاء أبو بكر فقالت: يا أبا بكر، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة! قال: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة قال: وهل تصلح له، إنما هي بنت أخيه فرجعت إلى الرسول وبلغته فقال "إرجعي وقولي له: أنت أخي في الإسلام وإبنتك تصلح لي" فأتت أبا بكر فقال: إدعي لي رسول الله ﷺ فجاء فأنكحه عائشة وهي بنت سبع سنين وتزوجها وهي بنت تسع سنين ثم قال لزينب "ومن الثيب؟" قالت: سودة بنت زمعة ـ قد آمنت بك وأتبعتك قال: "اذهبي فاذكريها عليّ" قالت: فخرجت فدخلت على سودة فقلت: ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة قالت ما ذاك؟ قالت أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك عليه، قالت: وددت إدخلي على أبي فاذكري ذلك له قالت: وهو شيخ كبير قد تخلف عن الحج ـ فدخلت عليه فقلت: إن محمد بن عبد الله أرسلني أخطب عليه سودة،

---

(١) الإصابة (١١٤٦١) والاستيعاب (٣٤٧٦) ودلائل النبوة (٢/ ٤٠٩) وسيرة ابن هشام (٢/ ٦٤٤) والروض الأنف (٤/ ١٦٧) والبداية (٨/ ٩١) وجامع الأصول (١٢/ ١٠٨) والأربعين في مناقب أمهات المؤمنين (١٥) طبقات ابن أسعد (٨/ ٥٨) والتاريخ لأبن قعين (٧٣) وتاريخ البغوي (٣/ ٢٦٨) وحيلة الأولياء (٢/ ٤٣) وجامع الأصول (٩/ ١٣٢) وتاريخ الإسلام (١٩٤/ ٢) ومجمع الزوائد (٩/ ٢٢٠) وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٣٣) وكنز العمال (١٣/ ٦٩٣) شذرات الذهب (١/ ٩).

قال: كفء كريم، فماذا تقول صاحبتك؟ قالت: تحب ذلك، فدعتها فقال: إن محمد بن عبد الله أرسل يخطبك وهو كفء كريم أفتحبين أن أزوجك؟ قالت: نعم قال: فادعيه لي فدعته فجاء فزوجها ثم كانت هجرة النبي ﷺ وصاحبه إلى المدينة، وأرسل أبو بكر إلى مكة من يأتي بأهله وفيهم عائشة وأسماء، وعبد الله وأم رومان وفي يوم سأل أبو بكر رسول الله ﷺ، يا نبي الله ما منعك أن تبني بأهلك "يعني عائشة" فقال ﷺ: الصداق ثم قدم صداق عائشة إلى أبي بكر، فانتقلت إلى بيت رسول الله ﷺ، وتروي السيدة عائشة بنفسها هذا الحديث. روى الشيخان وابن حبان عن عائشة أنها قالت تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت ست سنين فقدمنا المدينة، فنزلنا في بني الحارث من الخزرج فوعكت فتمزق شعري فوفي جميمة، فأتتني أمي أم رومان وأنا لفي أرجوحة ومعي صواحب لي، لا أدري ما تريد مني حتى أوقفتني على باب الدار وإني لأهج وقلت: هه هه حتى ذهب بعض نفسي وأخذت شيئًا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم دخلت بي الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن: على الخير والبركة وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن فغسلن رأسي وأصلحن من شأني فلم يرني إلا رسول الله ﷺ جالس على سرير في بيتنا فأسلمتني إليه وبني بي رسول الله ﷺ في بيتنا ما نحرت من جزور ولا نحرت على شاة حتى أرسل سعد بن عبادة بجفنة، فكان يرسل فيها إلى رسول الله ﷺ إلى دار نسائه وأنا يومئذ بنت تسع سنين[1] وقد تبادر إلى الذهن: لماذا تزوج رسول الله ﷺ عائشة وهي صغيرة جدًا هكذا؟ نقول: لم تكن خطبة رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها وهي صغيرة بدعًا ولا جديدًا جاء به محمد ﷺ من عنده، بل سار على التقاليد العربية والمتوارثة لذلك، فلم يكن هذا الحل إنتقاد أحد ولا مثار جدل ولم يكن هناك مطعن ولا ملفت للإتهام والتجريح - بل لم نر من أعداء الرسول والدعوة إلى الإسلام من تعرض لهذا الزواج بكلمة في وقت كان الأعداء يتلمسون له أقل هفوة ليحسبوها عليه ﷺ ولكن ذلك لم يحدث. كانت عائشة صغيرة السن، لكنها كانت متفهمة للحياة المقبلة عليها واعية للمهمة الملقاة على عاتقها وكانت رضي الله عنها رغم صغر سنها كبيرة القلب، ذكية حازمة، وهذا ما جعل رسول الله ﷺ يحبها حبًا شديدًا، ويعطف عليها، فنالت من المنزلة ما لم تنله غيرها من نسائه أما عن حادثة الإفك: فكانت بمثابة موقف صعب عاشته عائشة رضي الله عنها مجروحة فكانت ضحية لنفوس مريضة وإشاعات مغرضة ليسيئوا إلى النبي ﷺ ولم تكف المسكينة عن

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٩٤).

البكاء ليلها ونهارها، فمن الشرف أمر بالغ الخطورة لا ينجي صاحبه إلا بمعجزة كهذه المعجزة تقطع ألسنة المغرضين وتقضي على مخطط المنافقين وتؤكد حجة الذين بيدهم الحق ولا يستطيعون رفعها عليه، والحمد لله فقد أظهر الله الحق، فليس هناك مجال للباطل فانتهت الغمة، وذهب الكرب، وعادت أم المؤمنين إلى بيتها مرفوعة الرأس ولسانها يلهج بشكر الله وحمده بعد أن نزل جبريل ليبرئها الله من فوق سبع سماوات.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾[1] بعد ما نزل الوحي على رسول الله وقرأ الرسول ﷺ الآيات ضحك وقال ابشري يا عائشة برأك الله فإذا بأم رومان تقول لها يا عائشة قومي فأشكري النبي ﷺ تقول عائشة لا والله ما أحمد إلا الله عز وجل، استفادت السيدة عائشة من هذه المحنة الكبيرة فراحت تدور في تلك الدعوة، تخدم الفكرة وتنشر المبادئ التي يدعو إليها النبي ﷺ وأراد النبي أن يزيد من تكريمها فاتخذ رايته الأولى في غزوة خيبر من بردها، رضي الله عنها وكانت أحب النساء إلى رسول الله ﷺ وكانت الزوجات يعرفن ذلك جيدًا فكن يتنازلن عن بعض لياليهن لعائشة منهم سودة بنت زمعه رضي الله عنها التي كانت تعلم حب رسول الله ﷺ لها فكانت تحرص على خدمتها والتودد إليها.

تزوجها رسول الله ﷺ في بداية التشريع وفقه الإسلام فأراد الله تبارك وتعالى أن يورث الإسلام للأمة إلى يوم القيامة، كان مطلوب الزوجة الصغيرة التي تقلد النبي في كل شيء وإمكانيتها العقلية تكون بكر لتحفظ كل صغيرة وكبيرة عن النبي وتسأل النبي في كل شيء ويحبها النبي فيجيبها عن كل ما تسأل عنه. روى الإمام أحمد والشيخان، عن عائشة رضي الله عنها قالت "قال لي رسول الله ﷺ: "رأيتك في المنام قبل أن أتزوجك مرتين" وفي لفظ" ثلاث ليال، جاءني بك ملك في خرقة من حرير فيقول: هذه إمرأتك فيكشف عن وجهها، فإذا هي أنت، فأقول إن يك من عند الله يمضه" وروى الترمذي وحسنه وابن عساكر عنها قالت: جاء بي جبريل لرسول الله ﷺ في خرقة حرير خضراء فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة"[2].

---

(١) النور: ١١، ١٢.

(٢) سبيل الهدى والرشاد (١١/ ١٠٦٥).

الإقامة عندها في مرضه الأخير ﷺ:

رجع النبي ﷺ مع أهله بعد حجة الوداع إلى المدينة، ونزل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1] وزاد جبريل عليه السلام من رحلاته فهو يطلب من رسول الله ﷺ أن يضع الآيات في أماكنها المختارة والسور تلو السور التي أشار بها، وأحسن الإصغاء أن انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى قد دنا ثم إنه اشتكى لعائشة ما أصاب جسده الشريف من جراء ما أصابه من أثر الشاة المسمومة التي قدمتها إليه زينب بنت الحارث اليهودية إمرأة اليهودي سلام بن مشكم وقد وضعت السم فيها فلاك منها مضغة فلم يسغها ولفظها وظل جسده ﷺ متأثرًا بما دخل فيه[2]، واشتد المرض عليه ومازال على عهده وفيًا لزوجاته، يقم بينهن، ويعدل في قسمه، وكان في بيت ميمونة رضي الله عنها وقد أشتد المرض واجتمعت الزوجات حوله، وكان يريد أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها، فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مرض رسول الله ﷺ في بيت ميمونة فأستأذن نساءه أن يمرض في بيتي فأذن له، فخرج رسول الله ﷺ معتمدًا على العباس وعلى رجل آخر ورجلاه تخطان في الأرض وقال عبيد الله، فقال ابن عباس: أتدري من ذلك الرجل؟ هو على بن أبى طالب، وطلب الرسول ﷺ منهم أن يأمروا أبا بكر بالصلاة فقالت عائشة: يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق لا يملك دمعه، وأنه إذا قرأ القرآن بكى، قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس فراجعه فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس إنكن صواحب يوسف[3] وفي بيت السيدة عائشة في الساعات الأخيرة تقول عائشة رضي الله عنها. فرأيته يحمر وجهه ويعرق.. فقال أقعديني، فأسندته إليّ ووضعت يدي عليه فقلبت رأسه، فرفعت يدي عنه وظننت أنه يريد أن يصيب من رأسي، فوفقت من فيه نقطة باردة على ترقوتي أو صدري، ثم مال فسقط على الفراش، فسجيته بثوب ولم أكن رأيت ميتًا قط فعرفت الموت.. الحديث[4] بعد وفاة الرسول ﷺ تفرغت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لتأدية الواجب عليها نحو الرسالة الخالدة وكانت بحرًا زاخرًا في الدين، فقهًا وتشريعًا ويكفيها فخرًا أنها حفظت

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) انظر: زاد المعاد، (١٣٩، ١٤٠)، وفتح الباري ٧/ ٤٩٧، وأصل القصة مروية في صحيح البخاري مطولًا ومختصرًا: ١/ ٤٤٩، ٢/ ٦١٠، ٨٦٠، وفي ابن هشام، ٢/ ٣٣٧، ٣٣٨.

(٣) سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٧٦).

(٤) دلائل النبوة (٧/ ٢١٣) والبداية والنهاية (٥/ ٢٤١).

للأمة ثروة ضخمة من سنته ﷺ قولًا وخلقًا وسلوكًا قال هشان بن عروة عن أبيه: ما رأيت أحدًا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة رضي الله عنها.. وروى عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة رضي الله عنها إلا وجدنا عندها منه علمًا.

وقال أبو الضحى عن مسروق "رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض" وتشهد كتب الحديث بعلمها الغزير وعقلها الكبير، فلم يروي في الصحيح عن أحد من الرجال أكثر مما روى إلا شخصان هما أبو هريرة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما.. وقال الزهري: "لو اجتمع علم عائشة رضي الله عنها إلى علم جميع أزواج النبي ﷺ وجميع النساء كان علم عائشة رضي الله عنها أكثر". ولقد أحبت أن تشترك في الحياة العامة ثم اجتهدت وأفضى بها إجتهادها أن تشترك في أحد طرفي النزاع بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان... وانتهت بأن أعيدت إلى بيتها مكرمه معززة بعد هزيمة من كان معها.. إكرامًا لرسول الله ﷺ ومن أحسن ما قيل في وصفها: "كانت عائشة رضي الله عنها جميلة الوجه، حسنة التقسيم، وسيمة الطلعة، قوية النظرات، ذات عينين تدل سياهما على الرفاهية والرقة والنعومة، عالية الجبين، بسامة، سريعة النطق، تحسن الإستماع والإصغاء، حادة اللسان، في غير غلظة سريعة الغضب أحيانًا سريعة الرضا دائمًا تغفر لخصومها، وكانت شديدة الغيرة على رسول الله ﷺ، ولكنها لا تتحكم فيها، ولا تتسلط على إرادتها.

وفاتها:

كانت وفاتها في رمضان الثلاثاء لسبع عشرة خلت منه على الصحيح عند الأكثر من سنة ثمان وخمسين، رواه أبي خيثمة[1] وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه ودفنت بالبقيع. وماتت رضي الله عنها عن ست وستين سنة.

ونزل في قبرها خمسة: عبد الله وعروة أبناء الزبير، والقاسم بن محمد بن ابي بكر وعبد الله بن محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر.. ولما توفى النبي ﷺ كان عمرها ثمان عشرة سنة[2] أخرجها الثلاثة.

---

(١) الأربعين (١٥).

(٢) أسد الغابة (٧/ ١٨٩).

السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب

أبوها:

"أمير المؤمنين عمر بن الخطاب" أمها زينب بنت مظعون.. وكانت حفصة قبل أن يتزوجها النبي ﷺ عند حصن ابن حذافة وكان ممن شهد بدرًا ومات بالمدينة فانقضت عدتها. فعرضها عمر على أبي بكر فسكت.. فعرضها على عثمان بن عفان حين ماتت زوجته رقية بنت النبي ﷺ فقال: ما أريد أن أتزوج اليوم فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ فقال يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة ثم تزوجها رسول الله ﷺ بعد عائشة[1] وقيل: إنها وُلدت قبل المبعث بخمسة أعوام وتزوجها النبي ﷺ سنه ثلاث وقيل سنه إثنين... روت عن النبي ﷺ وعن أبيها، وروى عنها أخوها عبد الله بن عمر وابنه حمزة وزوجته صفيه بنت أبي عبيد وأم بشر الأنصارية وغيرهم[2] وعن عقبه بن عامر قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة تطليقة فبلغ ذلك عمر، فحثي التراب على رأسه وقال: ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها! فنزل جبريل عليه السلام وقال: "إن الله يأمرك أن تراجع حفصة بنت عمر ـ رحمة لعمر".

وعن ابن عمر قال: "دخل عمر على حفصة وهي تبكي، فقال لها: ما يبكيك؟ لعل رسول الله ﷺ قد طلقك؟ إنه كان طلقك مرة ثم راجعك مرة ثم راجعك من أجلي إن كان طلقك مرة أخرى فلا أكلمك ابدًا؟ (وعن حفصة زوج النبي ﷺ أنها قالت: "ما رأيت رسول الله ﷺ في سبحته قاعدًا حتى كان قبل وفاته بعام فإنه كان يصلي في سبحته قاعدًا، ويقرأ بالسورة فيرتلها"[3] وعن ابن عمر عن أخته حفصة: "أن رسول الله ﷺ كان إذا

---

(١) الإصابة رقم ٢٩٦ (٤/ ٢٧٣) وقال: اخرجه ابن سعد وهذا لفظه في بعض طرقه وأصله في الصحيح من طريق الزهري عن سالم، وانظر مسند الإمام أحمد (٦/ ٢٨٣) وطبقات ابن سعد (٨/ ٨١) وطبقات خليفة (٣٣٤) والمعارف (١٣٥) والمستدرك (٤/ ١٤) والعبر (١/ ٥) ومجمع الزوائد (٩/ ٢٤٤) وخلاصة تذهيب الكمال (٤٩٠) وكنزا العمال (١٣/ ٦٩٧) وشذرات الذهب (١/ ١٠).

(٢) تهذيب التهذيب (٢٦٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٢/ ٢١١) رقم ٣٧٣) وقال: حديث حفصه حسن صحيح.

شلت المؤذن من الأذان لصلاة الصبح صلى ركعتين خفيفتين قبل أن تقام الصلاة" قال في حلية الأولياء) ومنهن القوامة الصوامة، المزرية بنفسها اللوامة، حفصة بنت عمر بن الخطاب وارثة الصحيفة الجامعة للكتاب، رضي الله عنها "أختيرت حفصة رضي الله عنها من بين أمهات المؤمنين لتحفظ النسخة الخطية للمصحف في بيتها، وبقى عندها حتى طلبه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فنسخ منه النسخ الأربع ووزعها على الأمصار وأحرق ما عداها... ولما كان الخلاف بين على بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن أبي سفيان، طلبت منها السيدة عائشة رضي الله عنها، الخروج معها في الجيش الذي يطالب بدم عثمان، وعز عليها أن ترد طلب عائشة رضي الله عنها. وتهيأت لمصاحبتها، ولكن أخاها عبد الله بن عمر حذرها من ذلك.

وأقامت بالمدينة عاكفة على القيام والصيام تروي أحاديث رسول الله ﷺ إلى أن توفيت في عهد معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية، وشيعتها المدينة إلى مثواها بالبقيع مع أمهات المؤمنين رضي الله عنها[1] وفي أسد الغابة (توفيت حفصة رضي الله عنها، حين بايع الحسن بن على رضي الله عنه، معاوية، وذلك في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين، وقيل: توفيت سنة خمس وأربعين، وقيل: سنة سبع وأربعين) [2] وفي تهذيب التهذيب (حكى الدولابي أنها توفيت سنة سبع وأربعين وكان الذي أوقعه في ذلك أن عبد الله بن سعد بن أبي الصرح غزا في هذه السنة أفريقية وإن كان فتحها سنة خمسين على يد معاوية بن خديج. وذكر ابن سعد أن عمر بن الخطاب أوصى إليها لما أحتضر) [3].

---

(١) انظر عيون الأثر (٣٠٢٢) وفي وفاتها خلاف فذكروني فيه.

(٢) أسد الغابة (٧/ ٦٨).

(٣) تهذيب التهذيب.

السيدة زينب بنت خذيمة

هي زينب بنت خذيمة بن الحارث بن عبد الملك بن عمرو بن عبد مناف بن صعصعة الهلالية، زوج النبي ﷺ. يقال لها: أم المساكين، لكثرة إطعامها المساكين وصدقاتها عليهم، وكانت تحت عبد الله بن جحش، فقتل عنها يوم أحد فتزوجها رسول الله ﷺ، وقبل: كانت عند الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب ثم خلف عليها أخوه عبيده بن الحارث، قال أبو عمر عن على بن عبد العزيز الجرحاني وقال: كانت أخت ميمونة زوج النبي ﷺ لأمها[1] ـ قال في الأربعين (وهي أم المساكين، كانت تسمى بذلك في الجاهلية، وكانت تحت الطفيل بين الحارث بن المطلب فطلقها وتزوج بها عبيده بن الحارث وقتل يوم بدر شهيدًا، وتزوج بها النبي ﷺ على رأس أحد وثلاثين شهرًا من الهجرة فمكثت عنده ثمانية أشهر"[2] قال الزهري وقتادة. لم تلبث عند رسول الله ﷺ إلا يسيرًا وتوفيت بالمدينة والنبي ﷺ حي وقد مكثت عند رسول الله ﷺ ثمانية أشهر وقيل شهرين، وقيل ثلاثة، والصحيح أنها ماتت في ربيع الأول، وقيل الآخر ودفنت بالبقيع رضي الله عنها وقد بلغت ثلاثين سنة أو نحوها "سبل الهدى والرشاد" (١١/ ٢٠٦).

---

(١) الإصابة (١١٢٣٦) والإستيعاب (٣٤٠٥) والثقات (٣/ ١٤٥) وأعلام النساء (٢/ ٦٠) وتنوير قلوب المسلمين (٩٩) والسمط الثمين (١٣٠) والدر المنثور (٢٣٢) وتجريد أسماء الصحابة (٢/ ١٧٢) وأزمنه التاريخ الإسلامي (٩٨٢) وتلقيح فهوم أهل الآثر (٢٢) والطبقات الكبرى (٨/ ١١٥) والكامل في التاريخ (٢/ ٣٠٨).

(٢) الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين (١٨).

السيدة أم سلمة

هند بنت أبي أميه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية زوج النبي ﷺ وإحدى أمهات المؤمنين وإسم أبيها أبي أمية: حذيفة، ويعرف بزاد الركب، وهو أحد أجواد قريش المشهورين بالكرم، وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن فراس الكنانية[1] ـ كانت هند بنت أبي أمية من السابقين في الإسلام ولما أشتد بالمسلمين الأذى هاجرت مع زوجها عبد الله بن عبد الأسد الهلالي من بني مخزوم ابن عمة النبي ﷺ وأخو النبي في الرضاعة فقد أرضعته ثويبة مولاة أبي لهب.. ثم فكر أبو سلمة "زوجها" في الرجوع إلى مكة، ولكن وجد إبذاء شديدًا من المشركين، فعزم على الهجرة إلى المدينة واستعد للرحيل واعترضه المشركون وإشتبكوا معه ولكنه إستطاع الفرار والهجرة إلى المدينة واستطاعت أم سلمة أن تعثر على زوجها وجمع الله بينهما بعد غيبة، وتفرغ لدوره في الجهاد ونشر الدعوة، وشهد بدرًا وكان أحد الثلاثمائه والأربعة عشر رجلًا، وحضر أحد واستمات في القتال، وبعد أُحد بشهرين أرسله النبي ﷺ رأس لواء من مائة وخمسين رجلًا للهجوم على متربصين برسول الله ﷺ فهاجم وانتصر عليهم وعاد سالمًا غانمًا.. ولكن كان قد أصيب بجرح لم يكتمل التئامه، فأخذ يتوجع منه، وكان رسول الله ﷺ بجواره وهو على فراش الموت يدعو له ويداوم على زيارته حتى مات. وعن أم سلمة قالت: لما انقضت عدتها بعث إليها رسول الله ﷺ أبو بكر يخطبها عليه فلم تزوجه فبعث إليها رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب يخطبها عليه، فقالت: أخبر رسول الله ﷺ إني إمرأة غيري، وإني امرأة مصبية[2] وليس أحد من أوليائي شاهد فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك، فقال "إرجع إليها فقل لها: أما قولك" إني امرأة غيري فسأدعو الله أن يذهب غيرتك، وما قولك "إني امرأة

---

(١) الطبقات الكبرى (٨/ ٦٠) ودلائل النبوة (٣/ ٤٦٣) وجامع الأصول (١٢/ ١١٢) والإصابه (١١٨٤٦) والثقات (٣/ ٣٤٩) وأعلام النساء (٥/ ٢٢١) وتنوير قلوب المسلمين (٦٤) وتهذيب التهزيب (١٢/ ٤٥٥) والمعارف (١٢٨) والجرح والتعديل (٩/ ٤٦٤) وكنز العمال (١٣٠/ ٦٩٩) وسذرات الذهب (١/ ٦٩) والتاريخ لابن معين (٧٤٢) وطبقات ابن أسعد (٨/ ٨٦).

(٢) مصبيه: ذات صبية ذات أولاد، وكذا في اللسان (٤/ ٢٣٩٨).

مصبية" فستكفين صبيانك، وما قولك "ليس أحد من أوليائي شاهد فليس أحد من أوليائك شاهد ولا غائب يكره ذلك" فقالت لإبنها: قم فزوج رسول الله ﷺ فزوجه[1] ـ .. وعن أم سلمة قالت: في بيتي نزلت، قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾[2]،.. وكان لأم سلمة ثلاث أولاد سلمة أكبرهم، وعمر، وزينب أصغرهم ربوا في حجر النبي ﷺ.

رأيها في صلح الحديبية: كانت "أم سلمة" رضي الله عنها تشير على النبي ﷺ بالرأي فيأخذ به، وربما كان رأيًا صائبًا، ولا ننسى موقفها في الحديبية، وقد تمت الإتفاقية بين رسول الله ﷺ وأهل مكة، وكان لأصحاب رسول الله ﷺ موقف فيه شيء من المغالاة ـ فقد إستاءوا من الكيفية التي تم بها صلح الحديبية والعقد الذي وافق عليه رسول الله ﷺ مع المشركين، وكان صعب أن يرجع المسلمون إلى المدينة هذا العام دون أن يدخلوا مكة معتمرين وهم على أبوابها وأن تكون بين الفريقين المسلمين وأهل مكة المشركين هدنه عشر سنوات من غير قتال، وأن يرد الرسول ﷺ من يجيء مسلمًا إلى مكة، ولا يرد أهل مكة من جاءها مرتدًا عن الإسلام، وغاب عن المسلمين بعد نظر القائد الأعظم ﷺ فيما ذهب إليه محمد ﷺ الخارج وحده ليلًا من بلده يعود بعد سنوات متفاوض، والمفاوضة دليل ضعفهم، وشروطها قوة للمسلمين إذا ناقشها الناقدون فلقد فوت الرسول ﷺ على الكفار إراقة الدماء، وكان عليه الصلاة والسلام يكره الحرب فليرجع هذا العام من غير عمرة وليأت العام القادم معتمرًا ثم أمر الرسول ﷺ أصحابه أن يقوموا فينحروا ثم يحلقوا أو كررها ثلاثًا فتكاسلوا وتباطئوا، فدخل على أم سلمة رضي الله عنها حزينًا ثم ذكر لها ما لقى من الناس. فقالت: "يا نبي الله.. أتحب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة، حتى تنحر بدنتك وتدعو حالقك فيحلقك" وفعل رسول الله ﷺ كما أشارت عليه أم سلمة فلما رأوا قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا ثم أدرك المسلمون ما غاب عنهم من هذا الصلح، فقد دخل بعد الصلح أناس كثيرون لا يحصى عددهم، وصحبت أم سلمة رضي الله عنها الرسول ﷺ في غزوة خيبر وفي فتح مكة ثم حصار الطائف وغزوة هوازن وثقيف.

---

(١) أخرجه النسائي في السنن (٦/ ٨١.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

وتوفيت أم سلمة رضي الله عنها أول خلافة يزيد بن معاوية وقيل: إنها توفيت في رمضان أو شوال ـ سنة تسع وخمسين وصلى عليها أبو هريرة وقيل صلى عليها سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة.

قال محارب بن وثار: أوصت أم سلمة أن يصلي عليها سعيد بن زيد وكان مروان بن الحكم أميرًا على المدينة، وقال الحسن بن عثمان: كان أمير المؤمنين يومئذ الوليد ابن عتبة بن أبي سفيان ودخل قبرها ابناؤها عمر وسلمه وابن إبنها عبد الله ودفنت بالبقيع، وروت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة[1].

(١) أسد الغابة (٧/ ٢٧٨).

السيدة زينب بنت جحش

زينب بنت جحش زوج رسول الله ﷺ، أمها السيدة أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ أخوها عبد الله بن جحش، وهي أسدية من أسد بن خزيمة أختها السيدة حنة بنت جحش زوجة مصعب بن عمير، وكانت زينب قديمة الإسلام ومن المهاجرات، وكانت قد تزوجها زيد بن حارثة، مولى رسول الله ﷺ تزوجها ليعلمها كتاب الله وسنة رسوله، ثم إن الله تعالى زوجها النبي ﷺ من السماء وأنزل الله تعالى قوله: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾[1] فتزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث من الهجرة، قال أبو عبيدة، وقال قتاده سنة خمس وقال بن إسحاق تزوجها رسول الله ﷺ بعد أم سلمة[2] وكانت زينب بنت جحش تفتخر على نساء النبي ﷺ بأنها بنت عمته وبأن الله تعالى زوجها له وهن زوجهن أولياؤهن فعن أنس رضي الله عنه قال: جاء زيد بن حارثه يشكو فجعل النبي ﷺ يقول: "اتق الله وأمسك عليك زوجك" قال أنس لو كان النبي ﷺ كاتمًا شيئًا لكتم هذه قال: كانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهلوكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات"[3] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كانت زينب هي التي تساميني من أزواج النبي ﷺ في المنزلة عند رسول الله ﷺ وما رأيت إمرأة قط خيرًا من زينب في الدين، وأتقى وأصدق حديثًا وأوصل للرحم صدقة"[4] وكانت صناع[5] اليدين تدبغ وتجزر، وتتصدق به في سبيل الله[6] وعن

---

(١) الأحزاب: ٣٧.

(٢) الإصابة (١١٢٢٨) ومسند الإمام أحمد (٦/ ٣٣٤) وأسد الغابة (٦٩٥٥) وطبقات ابن سعد (٨/ ١١) وطبقات خليفه (٢٣٣) والمعارف (٢١٥).

(٣) أخرجة البخارة (٧٤٢٠) وانظر الطبقات لابن سعد (٨/ ٧٥).

(٤) أخرجة مسلم (٢٤٢٢).

(٥) صناع: يفتح الصاد الهلة إذ كانت لها صفة تعملها بيدها.

(٦) سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٠٣).

عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله ﷺ: "أسرعكن لحوقًا بي أطولكن يدًا" قالت: فكنا نتطاول أينا أطول يدًا قالت: فكانت زينب أطولنا يدًا لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق"[1] وكانت زينب بنت جحش أول نساء النبي عليه الصلاة والسلام لحوقًا به) روى الطبراني عن محمد بن اسحاق رحمه الله تعالى قال: "توفيت زينب زوج النبي ﷺ سنة عشرين هـ وقيل: عاشت ثلاثًا وخمسين وصلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(١) أخرجة مسلم (٢٤٥٣) هذا لفظة وللبخاري لفظ أخر (٣/ ٢٦).

السيدة جويرية بنت الحارث

جورية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية المصطلقية. سباها رسول الله ﷺ يوم المريسيع[1] وهي غزوة بني المصطلق، سنة خمس، وقيل: سنة ست، وكانت جويرية تحت مسافع بن صفوان المصطلقى، فوقعت في سهم ثابت بن قيس أو ابن عم له فكاتبته على نفسها.

عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس، أو لابن عم له فكاتبته على نفسها، وكانت إمرأة حلوة ملاحة، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، قالت عائشة رضي الله عنها: فوالله ما هو إلا أن رأيتها فكرهتها، وقلت: يرى فيها ما قد رأيت! فلما دخلت على رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث، سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، وقد كاتبت على نفسي، فأعني على كتابتي، فقال رسول الله ﷺ "أو خير من ذلك، أسدد عنك كتابك وأتزوجك؟ فقالت: نعم ففعل رسول الله ﷺ، فبلغ الناس أنه قد تزوجها، فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق، فلقد أعتق بها مائة من أهل بيت بني المصطلق، فما أعلم أن إمرأة أعظم بمكة منها على قومها"[2] تقول جويرية بنت الحارث رضي الله عنها" رأيت قبل قدوم النبي ﷺ بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجرى، فكرهت أن أخبر به أحدًا من الناس حتى قدوم رسول الله ﷺ فلما بتنا رجعت الرؤيا، قالت:

---

(١) غزوة المريسيع: لقد علم النبي ﷺ أن بني المصطلق من خزاعة يجمعون الجموع لقتال المسلمين فخرج إليهم النبي ﷺ حتى لقيهم على ماء لهم يقال المريسع، وقاتلوا قتالًا مريرًا انتهى بهزيمة بني المصطلق هزيمة منكرة، قتل فيها مسافع بن صفوان، وكان شديد العداء للمسلمين وأكثرهم خصومة، للرسول ﷺ وكانت زوجته إحدى الأسيرات للمسلمين، وكانت هذه الغزوة سنة خمس وقيل سنة ست.

(٢) انظر الإصابة (١١٠٠٨) والثقات (٣/ ٦٦) وأعلام النساء (١/ ١٩٠) وتنوير قلوب المسلمين (٨٢) والسمط الثمين (١٣٤) والكاشف (١٦٧١٣) وتهذيب الكمال (٣/ ١٦٨٠) والإستبصار (١٢١).

فاعتقني رسول الله ﷺ وتزوجني والله ما كلّمته في قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم، وما شعرت إلا بجارية من بني عمي تخبرني الخبر فحمدت الله تعالى".

ويروي أن أباها جاء إلى المدينة قبل أن يعلن الرسول ﷺ زواجه بها فقال للنبي ﷺ "يا محمد.. أصبتم إبنتي، وهذا فداؤها، فقال له الرسول ﷺ أرأيت أن أخيرها؟ أليس قد أحسنت؟ فأجاب "بلى" فأتاها أبوها فذكر لها ذلك فقالت: "اخترت الله ورسوله".. واصدقها النبي ﷺ أربعمائة درهم.. وقالوا إنها مباركة، فلقد أعتق بسببها خلق كثير من قومها، وأسلم بسببها كثيرون ومنهم الحارث أبوها[1] ولما تزوجها رسول الله ﷺ حجبها، وقسم لها، وكان إسمها بُرة فسماها رسول الله ﷺ جويرية"[2] [رواه شعبة].

مر عليها الرسول ﷺ في مسجدها تسبح الله وتذكره، ثم مر عليها قريبًا من نصف النهار، فقال لها: "مازلت على حالك! قالت: نعم قال ألا أعلمك كلمات تقولينها: "سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته"[3] ثلاث مرات.

روى الطبراني ـ مرسلًا ـ برجال الصحيح عن الشعبي رحمه الله تعالى: قال: كانت جويرية ملك رسول الله ﷺ فأعتقها، وجعل عتقها صداقها، وأعتق كل أسير من بني المصطلق، وروى الطبراني بسند حسن عن الزهرى رحمه الله تعالى قال: سبى رسول الله ﷺ جويرية بنت الحارث يوم واقع بني المصطلق.. وروى الطبراني في مرسلًا برجال الصحيح عن مجاهد رحمه الله تعالى قال: قالت جويرية لرسول الله ﷺ إن أزواجك يفتخرون على ويقلن لم يتزوجك رسول الله ﷺ قال: أو لم أعظم صداقك، ألم أعتق أربعين من قومك[4]؟..

توفيت وهي إبنة خمس وستين سنة، وذلك في شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين في خلافة معاوية.. وقيل: سنة ستين وصلى عليها مروان بن الحكم والى المدينة[5].

---

(١) أسد الغابة (٨/ ٥٨) تابع رقم (٩، ٦٨).

(٢) أسد الغابة (٧/ ٥٨).

(٣) كذا في لسان العرب (٦/ ٤١٥٨).

(٤) سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢١١).

(٥) الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين وانظر طبقات ابن سعد (٨/ ١١٦) وسيرة ابن هشام (٢/ ٦٤٥) ودلائل النبوة.

السيدة صفية بنت حي

صفيه بنت حييّ بن أخطب من ولد هارون النبي عليه السلام، وأمها بُرة بنت سموءل كانت تحت سلام بن مشكم القرظي، ثم خلف عليها، كنانه بن الربيع من أبي الحصفية[1] سباها النبي ﷺ من خيبر وكانت عروسًا، وأعتقها وتزوجها بعد مرجعه من خيبر، وكان يقسم لها ولجويرية بنت الحارث، وكان سنها وقت سباها نحو سبع عشر سنة روى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ وسلم لما أفتتح خيبر وجمع السبي، أتاه دحية بن خليفة فقال: أعطني جارية من السبي، قال "اذهب فخذ جارية" فذهب فأخذ صفية، قيل يا رسول الله، إنها سيدة قريظة والنضير، ما تصلح إلا لك، فقال رسول الله ﷺ "خذ جارية من السبي غيرها" وأخذها رسول الله ﷺ واصطفاها، وحجبها وأعتقها وتزوجها، وقسم لها، وكانت عاقلة من عقلاء النساء.

وعن عطاء بن يسار قال: "لما قدم رسول الله ﷺ من خيبر، ومعه صفيه أنزلها في بيت حارثة بن النعمان، فسمع بها نساء الأنصار وبجمالها، فجئن ينظرن إليها، وجاءت عائشة منقّبة حتى دخلت عليها فعرفتها، فلما خرجت خرج رسول الله ﷺ على أثرها فقال: كيف رأيتها يا عائشة؟ قالت رأيت يهودية: قال: لا تقولي هذا فإنها أسلمت فحسُن إسلامها.

حلمها وإخلاصها: لحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى، وقد شهد لصفيه رضي الله عنها بالصدق، ولم تكن إلا كذلك فقد صدقت النبي ﷺ في كل ما جاء به، ولو رأت شيئًا فيه إدعاء وكذبًا لعادت إلى قومها لتخبرهم به، ثم إن إيمانها لقوى لأنها رضت وصدقت النبي ﷺ عن عقيدة ثابتة، فقد سمعت من أبيها وعمها أن هذا هو النبي المنتظر، وأنه هو الذي تحدثت عنه التوارة.. ووقر في صدرها وأكدته الرؤيا التي رأتها في منامها وفسرها لها

---

(١) الطبقات الكبرى (٨/ ١٢٠) وحلية الأولياء (٢/ ٥٤) والإستيعاب (٤/ ١٨٧١) وطبقات بن سعد (٨/ ١٢٠) وتاريخ خليفة (٨٢) والمعارف (١٣٨) وتهذيب الكمال (١٦٨٦) وتاريخ الإسلام (٢/ ٢٢٨) والعبر (١/ ٨) ومجمع الزوائد (٩/ ٢٥٠) وتهذيب التهذيب (٢/ ٤٢٩) وكنز العمال (١٣/ ٦٣٧) وشذرات الذهب (١/ ١٢).

زوجها وهم أهل رؤيا، كانت السيدة صفيه رضي الله عنها مخلصة في عبادتها، وكان هناك نفر إجتمعوا في بيتها فذكروا الله وتلوا القرآن وسجدوا لله، فنادتهم أم المؤمنين قائلة" هذا السجود وتلاوة القرآن فأين البكاء".

وإندفعت "صفيه" راضية أو كارهة تشارك في المعركة السياسية التي بدأت في عهد عثمان بن عفان وكان موقفها إذ ذاك شبيهًا بموقف عائشة، إذ كانت لا تألل جهدًا في الولاء لأمير المؤمنين "عثمان" حتى أنها صنعت معبرًا بين منزلها ومنزل عثمان، فكانت تنقل إليه الطعام والماء، وهو في محنة الحصار[1] توفيت رضي الله عنها سنة ست وخمسين، وقيل سنة خمسين ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين.

(١) كذا أوردها ابن سعد في الطبقات (٨/ ١٠٠).

السيدة رمله بنت أبي سفيان (أم حبيبة)

هاجرت مع زوجها عُبَيد الله بن جحش بعد إسلامها إلى الحبشة وهناك تنصر زوجها وارتد عن الإسلام فوقفت موقف المرأة المؤمنة بالله ورسوله وانفصلت عن زوجها عُبَيد الله بن جحش، ولقد وجدت رضي الله عنها الشدائد والأهوال في الحبشة، وخافت إن رجعت إلى مكة أن يبطش بها والدها أبو سفيان وهو من كبار رجال قريش وسيدها المطاع وأمها هند بنت عتبة سيدة قريش، بعد ذلك مات زوجها عُبَيد الله على ردته النصرانية وإزدادت الشدائد عليها ففوضت أمرها إلى الله، والله يكفيها ويرعاها.

ولما علم رسول الله ﷺ بأمرها كتب إلى النجاشي ملك الحبشة ليزوجه إياها فأبلغها النجاشي ذلك ففرحت فرحًا شديدًا بهذه البشارة العظيمة وزوّجها النجاشي من النبي ﷺ وأمهرها عنه أربعة ألاف درهم، والذي تولى عقد الزواج "عثمان بن عفان" رضي الله عنه ثم بعث بها النجاشي إلى النبي ﷺ مع شرحبيل بن حِسنة وكان هذا الزواج مباركًا على بني أميه فلانت قلوبهم القاسية للإسلام وبعد فترة من الزمن أسلم كثير منهم وعلى رأسهم أبوها أبو سفيان وأمها هند بنت عتبة وأخوها معاوية بن أبي سفيان كاتب وحي النبي وخليفة المسلمين، وتوفيت بالمدينة المنورة سنة ٤٤هـ.

السيدة مارية القبطية

كان لها مكانة عظيمة في مصر، فهي من خير نسائه، جاريه أى صغيرة تذكرنا بالسيدة هاجر أم إسماعيل حينما أهداها حاكم مصر إلى سيدنا إبراهيم فتزوجها وكان من سلالتها الأنبياء والمرسلين.

كان النبي ﷺ قد أرسل كتابًا إلى المقوقس حاكم مصر، فرد المقوقس على كتاب النبي ﷺ بكلام رقيق، وأرسل له هدايا ومنها مارية ويقال إنه أسلم وحسن إسلامه. قال في أسد الغابة مارية القبطية: مولاة رسول الله ﷺ وسريرته وهي أم ولده إبراهيم بن النبي ﷺ أهداها له المقوقس صاحب الإسكندرية، وأهدى معها أختها سيرين وخصيًا يقال له مأبور وبغلة شهباء، وحُلّة من حرير.

كان النبي ﷺ يشفق عليها ويرفق لحالها، وهي البعيدة عن بلدها ويوصى بها ويكرمها حيث يقول "الله الله في أهل الذمة، وأهل المدرة السوداء، والسحم الجواد فإن لهم نسبًا وصهرًا" ويقول ﷺ: "إستوصوا بالقبط خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا" ولدت السيدة مارية إبراهيم في ذي الحجة سنة ثمان بالعالية.

لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى، وتركها على أمل اللحاق به، فظلت تنتظر بعده خمس سنوات مقيدة الخطوات لا تذهب بعيدًا عن مسجد رسول الله ﷺ والبقيع راضية حامدة شاكرة لله أن مَنّ عليها بنعمة الإسلام وصحبة الرسول عليه الصلاة والسلام، فكان ينفق عليها أبو بكر، ثم عمر رضي الله عنهما من بعده.

روى ابن سعد عن أنس رضي الله عنه قال: لما وُلِدَ إبراهيم لرسول الله ﷺ جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم.

وفي وفاة إبراهيم قالت عائشة رضي الله عنها: أنه عاش ثمانية عشر شهرًا[1]، وفي صحيح البخاري "أنه عاش سبعة عشر شهرًا أو ثمانية عشر شهرًا على الشك" وعن أبي

---

(١) رواه الإمام أحمد.

أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في موت إبراهيم: "تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضى الله تعالى إنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون".

توفيت السيدة مارية سنة ست عشرة في خلافة عمر بن الخطاب وكان رضي الله عنه يجمع الناس بنفسه ليشهدوا جنازتها، وصلى عليها عمر رضي الله عنه ودفنت بالبقيع.

السيدة ميمونة بنت الحارث

هي ميمونة بنت الحارث بن حزم الهلالية.. زوج النبي ﷺ[1] كانت لها خمس أخوات وكان النبي ﷺ يُسميهم الأخوات المؤمنات.. أمها: هند بنت عوف.

أخواتها:

١- لبابة الكبرى وهي أم الفضل ـ لبابه بنت الحارث زوجة العباس بن عبد المطلب عم النبي وقد أسلمت بعد السيدة خديجة رضي الله عنها.

٢- سلمى بنت عميس زوجة حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ.

٣- أسماء بنت عميس زوجة جعفر بن أبي طالب ابن عم النبي وبعد وفاة جعفر تزوجت أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم بعد وفاته تزوجت على بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ.

٤- زينب بنت خذيمة ـ زوج النبي ﷺ وكانت قبل متزوجه من ابن عمه وأخوه في الرضاعة ومات شهيدًا في غزوة بدر وأوصى النبي بها فتزوجها عليه الصلاة والسلام.

٥- لبابة الصغرى أم خالد بن الوليد.

استعد الرسول ﷺ واصحابه للعودة إلى مكة ـ تنفيذا لشرط أُخذ على محمد ﷺ ليقيم بها ثلاثة أيام، وقد خففوا من أسلحتهم ووضعت السيوف في أغمادها وأستعد الرسول لدخول مكة فرحين مستبشرين تتقدمه القصواء وقد أخذ عبد الله بن رواحه بخطامها يشدو بصوته الجميل وأصوات الملبين ترتفع إلى عنان السماء مرددين صدق ما وعد الله به وأن النصر العظيم سيأتي عما قريب، وهم يرددون "لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده" كان مشهد مهيب لم تره مكة من قبل، إرتفعت فيه راية الإسلام، وكادت الأرض أن تميد بالمعاندين والمشركين.

---

(١) الإصابة (١١٧٨٣) والإستيعاب (٣٥٥٢) وأعلام النساء (٥/ ١٣٨) وتنوير قلوب المسلمين (٩٣) والسمط الثمين (١٣١) والكاشف (١/ ٤٨٢) والتهيد (١/ ٢٠٦) والتاريخ الصغير (١/ ١١٢، ١١٤).

ولكن المقادير التي تحصى كل شيء، كانت ترقب قلبًا صغيرًا يشارك المسلمين فرحتهم وإنتصارهم، هذا القلب هو قلب "بُرة" رضي الله عنها، ولقد جمعت كل شجاعتها واقتربت من الرسول ﷺ تردد، فالمقام ليس مقام القبول الآن، فإذا بالسماء ترد وتحسم الأمر، وتطلب من محمد ﷺ أن يقبل الهبة: قال تعالى: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] تزوجها رسول الله ﷺ بعد زوجها سنة سبع في عمرة القضاء في ذي القعدة وأرسل رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب إليها فخطبها، فجعلت أمرها إلى العباس فزوجها رسول الله ﷺ، وعاشت مع زوجات النبي ﷺ شاكرة الله على ما أولاها من نعمة الإسلام، وعلى أن شرفها بالزواج من رسوله.

أسهمت في سبيل الله، فألقت فرقة نسائية للإسعاف والقيام بالواجب نحو الجرحى والمصابين ولقد أصيبت في أثناء أدائها لواجبها في الميدان بسهم من سهام الأعداء وهي تحمل الماء للمصابين فكاد يقتلها لولا عناية الله ولطفه.

وفي غزوة تبوك أبدت نشاطًا كبيرًا مع المجاهدين: تسعف الجرحى، وتواس المرضى وتجاهد في سبيل الله حق جهاده. وبجانب هذا كله كانت رضي الله عنها زاهدة عابدة كثيرة الحب والإخلاص للرسول ﷺ وكان ﷺ في بيتها حينما أشتد به الألم في مرضه الأخير، وعرفت رغبة النبي ﷺ أن ينتقل إلى بيت عائشة رضي الله عنها فرضيت أن ينتقل حيث يحب. ولما انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى عاشت في ذكرى حياتها معه وكان بيتها مصدر إشعاع للمسلمين، فقد حدّثت عن رسول الله ﷺ وروت عنه ستة وسبعين حديثًا، وروى عنها ابن أختها عبد الله ابن العباس وابن اختها يزيد بن شداد، وعبد الرحمن السائب، ومولاتها نديّة وغيرهم.

وفاتها:

قال في سبيل الهدى والرشاد ماتت ميمونة رضي الله عنها بسرف موضع بني بها رسول الله ﷺ ودفنت موضع بيتها التي ضرب لها رسول الله ﷺ حين البناء بها وذلك سنة إحدى وستين في خلافة يزيد بن معاوية، كذا وذكره بن سعد، وكان عمرها نحو ثمانين سنة، أو إحدى وثمانين وقيل: ماتت بمكة ونقلت إليها[2].

---

(١) الأحزاب: ٥٠.

(٢) كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين (٢٠) ط، دار القلم للتراث.

أولاد النبي ﷺ

سبعه وهم:

القاسم ، عبد الله، إبراهيم — ثلاثة ذكور

زينب، رقيه، أم كلثوم، فاطمة — أربعة إناث

أعمام النبي ﷺ

تسعة وهم:

أبو طالب، حمزة، الحارث، أبو لهب، الزبير، الغيداق، المقوّم، ضرار، العباس.

عمات النبي ﷺ

ستة وهم:

السيدة صفية والسيدة أروة والسيدة وهي البيضاء (أم الحكم) والسيدة برة والسيدة عاتكة والسيدة أميمة.

العشرة المبشرين بالجنة.

هم: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عثمان بن عفان رضي الله عنه، علىّ بن أبي طالب رضي الله عنه، طلحة بن عُبَيد الله، سعد بن أبي وقاص، عبد الرحمن بن عوف، الزبير بن العوام، سعيد بن زيد، أبو عبيدة بن الجراح.

"سباق أهل الجنة يوم القيامة"

ثلاث: حزقيل من آل فرعون، النجار من أصحاب يس، على بن أبي طالب.

السـنَّة

السنَّة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي:

قال رسول الله ﷺ:

"تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدًا كتاب الله وسنتي"

قال العلماء: "أصل علم الحديث والسنة هو أقوال الرسول ﷺ وأفعاله ونومه ويقظته وحركاته وسكونه وقيامه وجوده واجتهاده وعبادته وسيرته وسراياه ومغاذيه ومزاحه وجده وخطبه وأكله وشربه ومشيه وسكوته وملاطفته أهله وتأديبه فرسه وكتبه إلى المسلمين والمشركين وعهوده ومواثيقه.

تدوين السنَّة:

كان عمر بن عبد العزيز أول من أمر بتدوين السنة خوفًا عليها من الضياع وأكد هذا الأمر أبو جعفر المنصور.

منزلة السنَّة من القرآن الكريم:

لم يكن للأحكام في عهد الرسول ﷺ مصدر سوى القرآن والسنة ـ ففي القرآن الأصول العامة للأحكام الشرعية دون التعرض لتفصيلها ـ وحكمة ذلك أن يحقق القرآن الكريم النهضة الإنسانية الشاملة والرقي الاجتماعي والفكري وينشر العدالة والسعادة في كل زمن ويبقى صالحًا لكل أمة مهما كانت بيئتها وأعرافها وإلى جانب هذه الأصول في القرآن الكريم تجد العقائد والعبادات وقصص الأمم الغابرة والآداب العامة والأخلاق.

وقد جاءت السنة في الجملة موافقة للقرآن الكريم تفسر مبهمه وتفصل مجمله وتقيد مطلقه وتخصص عامه وتشرح أحكامه كما جاءت بأحكام لم ينص عليها القرآن الكريم تتمشي مع قواعده وتحقق أهدافه وغاياته وفيما يلي بعض مصطلحات بعض المحدثين الخاصة بعلم الحديث.

- رواه الشيخان:ـ معناه البخاري ومسلم.

- متفق عليه:ـ رواه البخارى .. ومسلم.
- رواه أصحاب السنن:ـ رواه أبو داود.. والترمذي.. والنسائي.. وابن ماجه.
- رواه الخمسة:ـ البخاري.. ومسلم.. وأبو داود.. والترمذي.. والنسائي.
- رواه الستة:ـ البخاري.. ومسلم.. وأبو داود.. والترمذي.. والنسائي.. وابن ماجة..
- رواه الأربعة:ـ البخاري.. ومسلم، وأبو داود.. والترمذي.
- رواه الثلاثة:ـ البخاري.. ومسلم.. وأبو داود.

الإمام البخاري

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري ولد.. في مدينه بخاري سنة ١٩٤هـ طلب العلم صغيرًا سنة ٢٠٥هـ ثم رحل مع أمه وأخيه إلى الحجاز حاجًا سنة ٢١٠هـ وأقام في المدينة المنورة.

ثم رحل إلى شيوخ الحديث وأئمته في مختلف البلاد فذهب إلى بغداد.. والبصرة.. والكوفة ومكة المكرمة والمدينة المنورة والشام وحمص وعسقلان ومصر وسمع كثيرًا وكتب عن أكثر من ألف شيخ وكان يحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث غير صحيح وترك نحو عشرين مؤلفًا في الحديث وعلومه.

وأشهرها: "الجامع الصحيح" المشهور" بصحيح البخاري".

الإمام مسلم

هو حجة الإسلام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسأبوري ولد سنة ٢٠٤ هـ وقيل سنة ٢٠٦هـ طلب العلم صغيرًا سنة ٢١٨هـ فسمع شيوخ بلده ثم رحل في طلب العلم فدخل بغداد مرارًا ولقي كثيرًا من أئمة الحديث في الحجاز ـ والعراق ـ والشام ـ ومصر ـ وغيرها وتردد على الإمام البخاري كثيرًا..

صنف الإمام مسلم كتابه "صحيح مسلم" من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة خلال خمس عشرة سنة.. وقال ما وضعت شيئًا في كتابي إلا بحُجة وما أسقطت شيئًا إلا بحُجة.

الإمام أبو داود السجستاني

هو الإمام الليث سيد الحفاظ سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني.. صاحب كتاب: السنن "المشهور ولد أبو داود سنة ٢٠٢هـ وطلب العلم صغيرًا ثم رحل إلى الحجاز والشام ومصر والعراق وتوفي بها سنة ٢٧٥هـ وأشهر كتبه "كتاب السنن".

الإمام الترمذي

هو الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ولد سنة ٢٠٠هـ في قرية "بوج" من قرى ترمذ على نهر جيحون ورحل في سبيل الله إلى العراق والحجاز وخراسان توفي سنة ٢٧٩هـ من أشهر مؤلفاته في الحديث كتابه "الجامع" المشهور بسنن الترمذي.

الإمام النسائي

هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على الخراساني النسائي.. ولد سنة ٢١٥هـ ورحل في طلب الحديث وعمره ١٥ سنة إلى الحجاز والعراق ومصر والشام والجزيرة ثم أستوطن مصر.. والراجح في وفاته أنه خرج من مصر سنة ٣٠٢هـ وتوفي في فلسطين بالرملة سنة ٣٠٣ هـ ودفن في بيت المقدس وأشهر مؤلفاته كتابه "السنن".

الإمام إبن ماجه القزويني

هو الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة، وماجة لقب أبيه ولد سنة ٢٠٩هـ في قزوين ورحل في شبابه إلى العراق والحجاز ومصر والشام وغيرها.

توفي سنة ٢٧٢هـ صنف ابن ماجه في التفسير والحديث والتاريخ وأشهر كتبه "كتاب السنن" وكان ابن ماجة على درجه رفيعة من العلم. فكان محدث قزوين في عصره.. وشيخها في التفسير.

الحديث القدسي

لكل حديث يُضِيف فيه الرسول ﷺ قولا إلى الله عز وجل يسمى بالحديث القدسي لأنه صادر عن الله عز وجل من حيث أنه المتكلم به أولا والمنشئ له وأما كونه حديثًا فلأن الرسول ﷺ هو الحاكي له عن الله عز وجل.. بخلاف القرآن الكريم فإنه لا يضاف إلا إلى الله عز وجل فيقال فيه قال الله تعالى.

أما الأحاديث القدسية فيقال قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى والفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي أن هذه نسبتها إلى الرسول ﷺ وحكاياتها عنه أما الحديث القدسي فنسبته إلى الله تعالى والرسول ﷺ يحكيه ويرويه عن ربه عز وجل.

مثال للحديث القدسي:

حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن الرسول ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال.. "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا".

حديث قدسي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال.. قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى "أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب إلى شبرًا تقربت إليه ذراعًا وإن تقرب إلى ذراعًا تقربت إليه باعًا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة. [رواه مسلم].

حديث قدسي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إن الله قال من عاد لي وليًا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأُعيذنه. [رواه البخاري].

مثال الحديث النبوي:

ما رواه سُهيل بن حُنيف رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال "من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه".

حديث نبوي:

قال رسول الله ﷺ: "ستكون فتن" قلت فما المخرج يا رسول الله قال: "كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحُكْم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلبس به الألسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراط مستقيم".